الديمقراطية
من وجهة نظر الأغبياء

داليا عادل

الديمقراطية من وجهة نظر الأغبياء

داليا عادل

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

كريم آدم

تدقيق لغوي :

سارة سرحان

رقم الإيــداع : ٢٠١٠/٢٢٠٢٢

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٠٦٨- ١

الديمقراطية

من وجهة نظر الأغبياء

داليا عادل

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

لأرواح شهداء الحروب في كل مكان وزمان...

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

إن الديمقراطية هي شريعة الله في الأرض، وعلى الرغم من أنها مصطلح إنساني حديث لم يُذكر في الكتب السماوية، إلا أنها فطرة خلق الله عليها الإنسان، فهي الخير والحق والحرية والعدل. ولم يبعث الله الرسل إلا لتُحل الديمقراطية والعدل بين الناس. لكن عندما يحيد الإنسان عن أمر الله يتحول العالم الذي نعيش فيه لغابة يأكل فيها القوي الضعيف، ويسرق فيها الغني الفقير. وتتحول الديمقراطية إلى ديكتاتورية يهين بها الإنسان أخاه الإنسان؛ لاعتقاده أنه أعلى منه شأنًا وأكثر منه كرامة، مثلما اعتقد إبليس أنه أفضل من آدم لأن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين.

لقد اتفقت كل شعوب العالم حول معنى الديمقراطية، وعرَّفوها بأنها المساواة بين جميع البشر دون التفرقة بين أي منهم على أي أساس، لكن بعض قادة الشعوب هم من يختلفون حول الديمقراطية؛ لأنهم يريدون تطويعها لتناسب أطماعهم في الهيمنة والسيطرة على الآخرين، إلا أن تلاعب هؤلاء القادة بمعنى لفظ الديمقراطية لا ينطلي على الشعوب الحرة السوية، التي تقف حائلًا أمام أية محاولة لإظهار الحق باطلًا والباطل حقًا، فالديمقراطية هي حق مشروع لجميع شعوب العالم، وليست منحة تَمُنُّ بها الدول الكبرى على الدول الصغرى، أو

تمبها الحكومات لشعوبها، سواء كانت حكومات دول كبرى أو حكومات دول صغرى، ومن حق الإنسان في أي مكان على وجه الأرض أن يعيش في مجتمع ديمقراطي حر، يكفل له حرية التفكير والتعبير والحياة الكريمة وما إلى ذلك؛ لأن الديمقراطية هي اللبنة الأولى التي تُبنى عليها الدول الحرة، وتربى عليها العقول المبدعة المستنيرة.

إن تحقيق الديمقراطية المنشودة أصبح أكبر تحدّ يواجه شعوب العالم الحر؛ لأننا في زمن تسيطر فيه المصالح الخاصة على العلاقات الإنسانية، وتطغى فيه الماديات على الروحانيات، وتلعب فيه إمبراطورية الشر بمصائر الشعوب البسيطة، ولن يتغير هذا الوضع إلا إذا تكاتفت جميع شعوب العالم، وانتفضت من أجل نيل حريتها لتحقيق الديمقراطية التي ترضاها.

تمهيد عن

السياسة الأمريكية

منذ أن بدأت شعلة الحضارة الأمريكية تنطفـــئ، وتحـــاول الولايات المتحدة جاهدة أن تحافظ على هذه الحضارة بـــشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة، ولهذا فقد قامت مجموعة مـــن الخبراء العسكريين الأمريكيين بإعداد سيناريو خاص تستعيد به الولايات المتحدة هيبتها أمام العالم أجمع، وبذلك يضمنون عدم محاولة أي دولة التدخل في شئونهم مثلما تفعل هي مـــع بـــاقي الدول، وبالفعل نجحت الولايات المتحدة في هذا مـــن خـــلال استخدام منطق القوة، ولم يعد هناك من يستطيع لومها على ما تفعله، فلقد أصبح صوتها فوق الجميع، سواء كان صـــوابًا أم خطأ.

لقد نصبت الولايات المتحدة نفسها كحـــاكم عـــسكري للعالم، ولم تعد تكترث لأي قانون دولي، بل إنهـــا تتحـــدي الجميع، وأصبحت الحرب هي الطريق الشرعي الوحيـــد مـــن وجهة نظرها لإحلال السلام العالمي، وفي ظل هذه الظـــروف نجد أن الشعب الأمريكي ما زال يعتقد أنه يعيش في ديمقراطية لم يشهدها العالم من قبل، والحقيقة أن الديمقراطية التي يعيشها الأمريكيين هي وهم أوهمهم به قادتهم، والدليل على ذلـــك أن الحروب التي قادتها الولايات المتحدة مؤخرًا علـــى أفغانـــستان والعراق لم يؤيدها الشعب الأمريكي، وعلي الرغم من ذلـــك حدثت هذه الحروب دون المساندة الشعبية لها، كما أن الشعب الأمريكي ظل يطالب الإدارة الأمريكية برئاسة جورج بـــوش

الابن بإنهاء احتلال أفغانستان والعراق، ويطالب بعودة الجنود الأمريكيين من الحرب حقنًا لدمائهم قبل أن يصبحوا جميعًا ضحايا، إلا أن هذه النداءات لم تجد أي صدًى عند إدارة الرئيس بوش الابن التي ظلت مصرة على هذه الحرب غير المشروعة، رغم معارضة جميع الشعوب لها بما فيهم الشعب الأمريكي نفسه، كما ظلت إدارة الرئيس الأمريكي السابق بوش تهدد بشن المزيد من الحروب على دول أخرى بدعوى القضاء على الإرهاب.

وإذا كانت الديمقراطية غير مكفولة للشعب الأمريكي نفسه، فكيف إذا يتوقع القادة الأمريكيين تفهُّم شعوب العالم رغبتهم في تحقيق الديمقراطية وإحلال السلام العالمي بالاعتداء على الدول الأخرى؟!!

إن قيام إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن بمثل هذه الحروب غير المشروعة لا ينفي مسئولية الشعب الأمريكي؛ حيث إنها كانت حكومة منتخبة من قبل الشعب الأمريكي وبالتالي فهي ممثلة له أمام العالم أجمع، كما أن الشعب الأمريكي لم يستخدم أي سلطة له في الضغط على حكومته لعدم خوض هذه الحروب أو الانسحاب منها، وهذا يدل على مدى ضعف إرادة الشعب الأمريكي؛ حيث تم تهميش دوره، فكل ما يقوم به الشعب الأمريكي لمحاولة منع الحرب أو لإنهاء الاحتلال هو القيام بالمظاهرات في جميع أنحاء

الولايات المتحدة، حتى أمام البيت الأبيض، وأعتقد أنه لا يجب على الشعب الأمريكي الاستمرار في تأدية دور المتعاطف مع الشعوب المعتدى عليها، وذلك لأنه يقع عليه جزء كبير من مسئولية ما يحدث لهذه الشعوب، وعلى الشعب الأمريكي أن يتظاهر أولًا من أجل نيل حريته، بدلًا من التظاهر من أجل حرية الشعوب الأخرى؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

لقد حمل الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن على عاتقه مهمة تخليص العالم من الإرهاب والشر مثله في ذلك مثل باقي رؤساء الولايات المتحدة؛ حيث نصَّب نفسه رئيسًا للعالم، ظنًّا منه أنه يملك زمام الأمور كلها في يده؛ ولذلك كان من المفروض على أية دولة أن تطلب ودَّه ورضاه، وأن تتقرب إليه قدر الإمكان؛ لأنه كان إذا حل غضبه بدولة ما فالجميع يعرف ما سيحدث لها، حيث رأى الجميع ما حدث لأفغانستان والعراق، فالبث كان مباشرًا بالصوت والصورة.

لقد أحدثت حروب الولايات المتحدة الأمريكية ضد الدول الإسلامية بدعوى القضاء على الإرهاب مأساة حقيقية؛ حيث أصبح الإسلام يرتبط في ذهن الكثير من الأفراد بالإرهاب، وذلك بسبب الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين، والتي قادها الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، رغم ادعاءاته الكاذبة بخوض هذه الحروب من أجل القضاء على الإرهاب.

والحقيقة إن الإرهاب موجود في كل مكان في العالم، حيث يوجد دائمًا منحرفون يحاولون فرض آرائهم المتطرفة على الآخرين، وهم غالبًا يمثلوا قلة في أي مجتمع، فالإرهاب لا يرتبط بدولة معينة، كما أنه لا يرتبط بديانة معينة؛ حيث تدعو جميع الديانات للسلم، وترفض الحرب بجميع أشكالها وصورها، سواء كانت ديانات سماوية (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، أو ديانات غير سماوية كالبوذية.

والفكرة الخاطئة عن الدين الإسلامي في المجتمعات الغربية، والتي دعمها وروَّج لها المتطرفون ودعاة الحرب هي التي جعلت هذه المجتمعات تعتقد أن الإسلام ليس له إلا معنى واحد، هو الإرهاب، على الرغم من أن الإسلام هو دين السلام والتسامح، ويتضح ذلك من خلال النصوص القرآنية العديدة، والأحاديث النبوية الشريفة التي دعت للسلام...

قال تعالى: "**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكَّل**" **[الأنفال: ٦١]**، "**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**" [الإسراء: ٣٣].. صدق الله العظيم.

فالدين الإسلامي حريص على حياة الفرد، سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، ويرفض الحرب بجميع أشكالها وصورها؛ لأن فيها دمارًا للشعوب، ومخالفة لأمر الله - سبحانه وتعالى - بإعمار الأرض وتطويرها بما هو أفضل.

أما عن الإرهاب فهو شر لا بد من وجوده في العالم؛ لأن الشر هو ما يثبت وجود الخير، وهو موجود منذ أن خلق الله الإنسان عندما قتل قابيل أخاه هابيل، فالإرهاب حقيقة عالمية موجودة في جميع الدول، ولكن بدرجات متفاوتة، ويكون ذلك تبعًا لمدى الاستقرار في كل دولة.

وبناء على ذلك، فإن وجهة نظر الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن بوجود محاور للشر في العالم هي فكرة خاطئة؛ لأن الإرهاب ليس له وطن محدد ينتمي إليه، ولا يمكننا القول بأن هناك دولة إرهابية ولو أمكننا قول ذلك فإن الولايات المتحدة ستكون هي هذه الدولة؛ لأنها تحاول فرض هيمنتها على العالم كله بالقوة، متجاهلة كل الأعراف والقوانين الدولية.

أما الجماعات الإرهابية، فهي جماعات خارجة عن القانون، تحاول فرض آرائها ومعتقداتها المتطرفة عن طريق التدمير والتخريب للممتلكات العامة والخاصة، دون مراعاة للخسائر المادية والبشرية؛ لأنها تتبع مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، والشعب هو أول من يحتج على وجود الإرهاب في أي دولة؛ لأن الشعوب تسعى بطبيعتها نحو الاستقرار والسلام، وعلى فرض وجود رئيس دولة ديكتاتور يرعى الإرهاب ويؤجج الفتنة داخل دولته، فليس من حق أي دولة أخرى التدخل في الشئون

الداخلية لهذه الدولة؛ لأن الشعب هو الوحيد القادر على حل مشاكله الداخلية التي تهدد أمنه واستقراره، وذلك من خلال استخدام حقوقه وسلطاته القانونية.

ولكي تحافظ الولايات المتحدة على استمرار قيادتها للعالم قررت التحرش بالعالم الإسلامي من خلال إعلان الحرب على أفغانستان والعراق، وتهديدها لدول أخرى مثل سوريا وإيران والسودان، وكل ما تفعله الولايات المتحدة الآن هو محاولة يائسة منها لاستعادة سيطرتها على العالم، وذلك بالتعدّي على الكيانات الصغيرة، فحروب الولايات المتحدة الأخيرة تؤكد على حدوث انهيار داخلي في الكيان الأمريكي، والتوسُّع الخارجي هو محاولة منها للقضاء على هذا الانهيار؛ حيث تؤكد الحقيقة التاريخية أن بداية حدوث الانهيار الحضاري تكون باللجوء للتوسع الخارجي. ومحاولة فرض الدول العظمى هيمنتها وسيطرتها على الدول الصغرى، وهذا هو ما تمر به الولايات المتحدة الآن.

ولقد وقع اختيار الولايات المتحدة على الدول الإسلامية كعدو وهمي لها لعدة أسباب، أهمها أن العالم الإسلامي يمر بمرحلة ضعف شديدة، خاصة في الجانبين العسكري والاقتصادي، كما أنه في حالة تفكك وعدم اتزان، مما يؤهله لكي يصبح اختيار صائب، وفي ظل الحملة الأمريكية العسكرية

ضد الدول الإسلامية أصبحت الأرواح البشرية زهيدة الـــثمن. فلا يهم ما تحصده هذه الحروب من أرواح، لكن المهم هو أن تحافظ الولايات المتحدة على ريادتها بوصفها قائدة لهذا العالم، وتحديد أسعار الأرواح البشرية أصبح مهمة الولايات المتحـــدة وحدها؛ حيث ترتفع أسعارها وتنخفض تبعًا لمؤشرات البورصة الأمريكية وأهواء قادتها.

وعلى الرغم من محاولة الولايات المتحدة والدول الحليفة لها في حربها ضد الدول الإسلامية إضفاء صفة الشرعية على هذه الحروب بوصفها حروبًا ضد الإرهاب، إلا أن الشعوب كلـــها رفضت هذه الحروب، بما فيها شعوب دول الاحتلال؛ فالجميع على اقتناع كامل بعدم شرعية هذه الحروب؛ لأنها لـــيس لهـــا هدف حقيقي مقنع ومعلن، بل هي مجرد مزاعم أمريكية فقـــط من أجل تحقيق مصالح شخصية.

والحرب الأمريكية ضد الدول الإسلامية تثبت عودة الحكم الديكتاتوري، بدلًا من الحكم الديمقراطي الذي عانت البـــشرية كثيرًا لتصل إليه، فالشعوب لم تعد تقرر مـــصيرها، والـــسلطة أصبحت في أيدي الحكام والقادة، وهذا ينطبق علـــى الـــدول المحتلة ودول الاحتلال.

هذه هي الطبيعة الأمريكية التي يجب أن نتفهّمها جميعًا، فهي لا تعترف بتعدد واختلاف الحضارات، وأن هذه الحـــضارات

يمكن أن تعيش مع بعضها جنبًا إلى جنب في سلام وتَوَافُق، ونجدها تصر على إرساء فكرة الحضارة الواحدة، في محاولة منها لفرض ثقافتها على باقي الدول، فالولايات المتحدة تدعم فكرة التبعية الثقافية؛ لأن ذلك يحقق مصالحها، وهي تنظر للآخرين من وجهة النظر الأمريكية فقط، ولا تعترف بالاستقلال الحضاري والثقافي، فتريد أن ترى الآخرين وكأنهم قد صُبُّوا في قالب أمريكي واحد.

لقد أصبحت الولايات المتحدة كالحيوان المفترس الذي لا يفرِّق بين ضحاياه، فهي تحارب الضعفاء لإخافة الأقوياء، عملًا بطريقة "اضرب المربوط يخاف السايب"، فلم تعد تكترث بالقوانين الدولية، ولا تهتم إلا بمصالحها الشخصية؛ لأنها ترى نفسها فوق الجميع.

إن الإدارة الأمريكية بقيادة الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن لم تَجْنِ من خلال حربها على الإسلام والمسلمين سوى المزيد من مشاعر الحقد والكراهية للولايات المتحدة، والمزيد من الأصوات المطالبة بعزلها عن قيادة العالم، بعد أن تأكَّد للجميع أنها قائد ديكتاتور لا يصلح لقيادة العالم، لقد أصبحت الحروب الأمريكية ضد الإسلام شهادة ميلاد حقيقية لجيل جديد من الإرهابيين، بحيث لن يستطيع أي شخص أن يغير من أفكارهم ومعتقداتهم؛ لأن عقولهم ستكون مشحونة بأفكار الثأر

والقصاص من الذين اغتصبوا براءتهم وقضوا على طفولتهم، وحينها لا يمكن القول إلا أن هؤلاء الإرهابيين هم صناعة أمريكية خالصة، وسيكون من الغباء أن يتساءل الشعب الأمريكي عن أسباب كره باقي شعوب العالم له، وهو نفس السؤال الذي يتكرر كثيرًا على ألسنتهم هذه الأيام؛ لأن الإجابة عن هذا السؤال لن تحتاج من أي شخص عاقل سوى العودة بذاكرته عدة سنوات للوراء، ليعرف وقتها أسباب كل هذا الكره والعداء.

والسياسة الأمريكية الحالية تقود العالم نحو الهاوية؛ لأنها تعتمد على الكيل بمكيالين في حربها على الإرهاب، دون أن تضع القيم والأخلاق والمبادئ في اعتبارها، فهي سياسة عنصرية بما في الكلمة من معاني، لا تهتم إلا بمصالحها الخاصة، وليست لها أهداف شريفة كما تدَّعي ذلك، فحربها على الإرهاب كانت خدعة لإرهاب العالم؛ حيث اعتدت على دول ضعيفة ليس لها حول ولا قوة، ولا تستطيع المساس بأمن الأمريكيين أو غيرهم.

لقد قوضت السياسة الأمريكية الحالية الجهود الحقيقية الرامية لتحقيق السلام العالمي والقضاء على الإرهاب، وذلك باتباعها أسلوب خاطئ في التعامل مع الدول الأخرى؛ حيث إن الحروب لا تقضي على الإرهاب، بل تدعمه وتقويه،

وتساعد على خلق الأجواء المناسبة لانتشاره، فالحروب تمثل المناخ الملائم لصناعة الإرهابيين، وهذا ما يؤكده التاريخ؛ فعلى مدار الأزمنة السابقة نجد أن الحروب كان لها الفضل الأكبر في اتساع دائرة العنف العالمي، وانتشار الكراهية والحقد بين الشعوب وبعضها؛ ذلك لأن الدول في حالة الحرب تتخذ موقفًا من ثلاثة مواقف مختلفة، فهي إما متحالفة، أو معارضة، أو محايدة، وجميع هذه المواقف تسبب المشاكل، وتشحن الشعوب ضد بعضها.

لقد كانت الحرب الأمريكية بدعوى القضاء على الإرهاب وسيلة دعاية لها، حيث أرادت أن تظهر مدى قوتها، خاصة في الجانب الحربي، وذلك لضمان تربُّعها على عرش العالم أطول فترة ممكنة، وإثبات أنها ما زالت قادرة على الاستمرار في قيادة العالم؛ فهي الآمر الناهي، والمتحكم الأول والأخير في مصائر الشعوب، فبكلمة منها تستطيع أن تدمر مدينة بأكملها، ولا يستطيع أحد أن يحاسبها؛ لأنها فوق الجميع، تملك السلطة المطلقة التي تعطيها الحق في عمل ما تريد؛ حتى لو كان هذا الحق باطلًا.

والحرب بالنسبة للولايات المتحدة أصبحت من أرخص وسائل الدعاية؛ حيث إنها لا تكلفهم سوى بعض الأسلحة والمعدات الحربية، وحفنة من الجنود، وهي لديها كل هذه الإمكانات اللازمة لشن الحرب، فالأسلحة بمختلف أنواعها

متوفرة - مشروعة وغير مشروعة، والجنود أيضًا متوفرون بكثرة، وهم مستعدون للتضحية بأنفسهم من أجل إثبات التفوق الأمريكي، وحتى إن لم يكونوا مستعدين، فقادتهم مستعدون للتضحية بهم من أجل رفعة وطنهم أمريكا الأم.

والحرب الأمريكية بدعوى القضاء على الإرهاب هي حرب لإعادة السيطرة الأمريكية على مقاليد السلطة والحكم العالمي قبل فقدهما، فلقد اعتادت الولايات المتحدة أن توجه صفعاتها للعالم بين الحين والآخر، وذلك حتى يفيق العالم من وهم الحرية الذي يعيش فيه، وهذه الصفعات تعيد العالم لما كان عليه، حيث يتأكد الجميع من أن الحرية هي حلم بعيد المنال، يصعب تحقيقه في زمن الحكم الأمريكي، وأعتقد أن الصفعة الأمريكية الأخيرة قد حققت المرجو منها على أكمل وجه.

لقد لقّنت الولايات المتحدة العالم أجمع درسًا لن ينساه؛ فالضعيف ليس له حق العيش، وهذا هو المبدأ الذي تدعمه الولايات المتحدة، وتحاول أن تثبته بشتى الطرق، لقد أصبحنا جميعًا أسرى لدى الولايات المتحدة، فهي تتحكم في مصائرنا ومقدَّراتنا، ونحن لا نملك حق الدفاع عن أنفسنا، ومن يريد أن يعيش في سلام، فعليه أولًا أن يقدم فروض الولاء والطاعة للولايات المتحدة؛ حيث أصبح الاستسلام والخنوع هما الطريق الوحيد لضمان الأمن والسلام، وعلى كل عاقل أن يفكر جيدًا

قبل أن يعادي الولايات المتحدة؛ لأن الجميع أصبح يعلم مـــاذا يحدث لأعدائها، أو حتى المختلفين معها في وجهات النظر.

والديمقراطية الآن تمر بحالة حرجة، حيث فقدت دعائمهـــا ومرتكزاتها، وأصبح لها أكثر من وجه، فهي تختلف بـــاختلاف الأشخاص واختلاف أهوائهم وأفكارهم، ومصالحهم المترتبـــة على تفسير معنى الديمقراطية، ونتيجة لاختلاف تفـــسير معـــنى الديمقراطية من بلد لآخر، أصبحت السياسة العالمية متخبطـــة، وحدث تصادم في الفكر السياسي بين الدول وبعضها، مما أدى إلى الحروب والصراعات العالمية، فالمخطط الذي نفَّذته الإدارة الأمريكية السابقة للرئيس جورج بوش الابن لاستعادة الهيمنـــة الأمريكية على العالم هو تحقيق للديمقراطية، ولكن من وجهـــة نظرها، والحقيقة أن الديمقراطية لا تُفـــرض علـــى الـــشعوب، ولكنها تكون نابعة من ثقافة وأفكار الشعوب التي عانت كثيرًا من أجل نيل حريتها.

أحداث سبتمبر..

وغزو أفغانستان...

تولّى الجمهوري جورج دبليو بوش رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل عام ٢٠٠١، بعد فوزه على منافسه الديمقراطي آل جور، نائب الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون، وذلك بعد صراع شرس؛ حيث كان الفارق بينهما ضئيل جدًّا، وفي نفس عام توليه الرئاسة وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، واتخذت السياسة الأمريكية نهجًا جديدًا في التعامل مع الدول الأخرى، وأصبح هذا التاريخ بداية لتأريخ الأحداث في العالم، بحيث أصبحت الأحداث توصف بما قبل الحادي عشر من سبتمبر، وما بعد الحادي عشر من سبتمبر؛ لأن ما حدث في هذا اليوم كان فوق الخيال، حيث تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية - وهي الدولة الأولى في العالم - لهجوم إرهابي كبير بأربع طائرات مدنية أمريكية، تم توجيهها لمنشآت حيوية، حيث اصطدمت طائرتان منهما بمبنى برجي التجارة العالمي، رمز الاقتصاد الأمريكي، أقوى اقتصاد في العالم، واصطدمت الطائرة الثالثة بمبنى وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون، وهو رمز الكيان السياسي الأمريكي، والذي يعد أقوى دفاع في العالم، في حين سقطت الطائرة الرابعة في بنسلفانيا في مكان غير مأهول، وقد أسفر هذا الهجوم عن تدمير كلّي لمبنى برجي التجارة العالمي، وتدمير الواجهة الغربية

لمبنى وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون، كما أسفر عن سقوط آلاف القتلى والمصابين، فقد تجاوز عدد القتلى الثلاثة آلاف قتيل.

ولقد أصيب العالم أجمع بصدمة نتيجة هذا الهجوم الإرهابي على الولايات المتحدة الأمريكية، أما الشعب الأمريكي فلم يصدق ما حدث؛ لأنه كان يؤمن بقدرة أجهزة الأمن الأمريكية على التصدِّي لأي هجوم قد تتعرض له البلاد، بسبب التفوق العسكري للولايات المتحدة، التي تمتلك أكبر ترسانة نووية وحربية على مستوى العالم؛ حيث يتم رصد جزء كبير من الدخل القومي الأمريكي للتسلُّح الحربي، كما أن الحديث المستمر عن هذا التفوق والقوة الأمريكية التي لا تُهزم جعلت الشعب الأمريكي في حالة ذهول ودهشة، بعد ما رآه من عجز وشلل أجهزة الأمن الأمريكية عن عمل أي شيء للتصدِّي لهذا الهجوم.

وفي أول تصريح للإدارة الأمريكية بعد أحداث سبتمبر، خرج الرئيس جورج بوش ليعلن الحرب على الإرهاب، أو ما أطلق عليه حرب قوى الخير ضد قوى الشر، حيث قال: "إن حرب الإرهاب قد وضع بدايتها وفرضها آخرون على الولايات المتحدة، لكن واشنطن ستكون صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في وضع نهاية لها، وأن التحالف مع الولايات المتحدة

هو البديل للتحالف مع الإرهاب"... وكلام الرئيس الأمريكي كان يتضمن تهديدًا مباشرًا لأي دولة قد تعلن أنها ضد الحرب على الإرهاب من وجهة النظر الأمريكية، فالتعاون مع الولايات المتحدة أصبح الطريق الوحيد لتفادي الحرب معها.

وقد جاءت ردود الفعل العالمية وفق إرادة الرئيس بوش الابن، حيث قدم الجميع فروض الولاء والطاعة، بعد الإعلان عن تكوين تحالف مع الدول الصديقة ضد الإرهاب، كما أعلنت المنظمات الدولية وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة شجبها وتنديدها للهجوم الإرهابي على الولايات المتحدة، وقدمت هي الأخرى فروض الولاء والطاعة لدعم الحرب الأمريكية على الإرهاب.

في الأيام الأولى للهجوم الإرهابي على الولايات المتحدة الأمريكية ظهرت العديد من التكهُّنات حول مرتكبي الهجوم، وتم تداولها في جميع وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية، حيث قال كل منهم ما في دلوه، ومن بين هذه التكهنات إسناد هذا الهجوم للدول العربية، بسبب انعدام الثقة المتبادل بين الشعب الأمريكي والشعوب العربية، كما تمت الإشارة لإمكانية تورُّط الموساد الإسرائيلي في هذا الهجوم، رغبة منه في إلصاق التهمة بالدول العربية، وهي طريقة يتبعها الموساد الإسرائيلي منذ بداية إنشائه، أما أكثر التكهُّنات رواجًا في ذلك الوقت هو الإشارة

لأن أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة وراء هذا الهجوم، وهو التكهُّن الذي وجد صداه عند أجهزة الأمن الأمريكية، خاصة بعد أن وجدت عدة قرائن استطاعت أن تربطها بهذا التفسير، منها:

- تورُّط أسامة بن لادن في العديد من العمليات الإرهابية التي تستهدف مصالح أمريكية في بلاد أخرى، ومنها تدمير البارجة الأمريكية كول في الخليج.

- امتلاك أسامة بن لادن لثروة مالية ضخمة تمكنه من التسلح بكافة أنواع الأسلحة، وتمكّنه من تجنيد النفوس الضعيفة لتحقيق مخططاته.

- تهديد أسامة بن لادن بشن العديد من الهجمات على الولايات المتحدة الأمريكية، وبث هذه التهديدات في شرائط فيديو.

- تحذير عدد من القادة الأمريكيين مرارًا وتكرارًا من خطورة أسامة بن لادن على الأمن القومي الأمريكي.

- الاتصال الهاتفي الذي تلقّاه رئيس تحرير جريدة القدس العربية من أسامة بن لادن، والذي أبلغه فيه أنه سيقوم بعملية جهادية كبيرة داخل الولايات المتحدة ستكون فريدة من نوعها في تاريخ العالم، وكان ذلك قبل أسابيع قليلة من أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وأسامة بن لادن ليس بالاسم الجديد على أجهزة الأمن الأمريكية؛ حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية من أوائل الدول التي قدمت الدعم له، وذلك في العهد السوفيتي، حين أرادت الولايات المتحدة القضاء على الاتحاد السوفيتي، الذي كان يمثل العقبة الرئيسية أمامها لكي تصبح الدولة التي لها الكلمة الأولى في العالم، وقد حدث ذلك في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر، عندما عرض عليه مستشاره للأمن القومي برجينسكي فكرة مشروع الجهاد الإسلامي في أفغانستان. لمحاربة قوات الاتحاد السوفيتي التي دخلت أفغانستان في ديسمبر ١٩٧٩، لضمِّها لتصبح إحدى دول الاتحاد السوفيتي، ولقد وجدت الفكرة صدى واسعًا عند الإدارة الأمريكية، التي قامت بدعم المجاهدين في أفغانستان دون أن تظهر في الصورة، حتى لا تحدث مواجهة مباشرة بينها وبين الاتحاد السوفيتي.

وقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية ضالتها في أسامة بن لادن، بسبب حماسه الزائد لفكرة الجهاد في أفغانستان، حيث كان من أوائل الذين دعوا للجهاد هناك، وقام بإقناع مئات المجاهدين من خارج أفغانستان للاشتراك في الجهاد ضد القوات السوفيتية التي دخلت أفغانستان دون وجه حق.

وبالفعل أسفر التعاون بين الولايات المتحدة وأسامة بن لادن عن هزيمة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، ثم سقوطه بعد ذلك عام ١٩٩٠، لكن بعد فترة من التعاون انقلب السحر على الساحر في تحول مفاجئ، وأصبح صديق الأمس هو عدو اليوم، حيث أصبح أسامة بن لادن من ألد أعداء الولايات المتحدة، وتحول من مساعد لأجهزة الأمن الأمريكية إلى مهاجم للمصالح الأمريكية في جميع أنحاء العالم، لقد استطاع أسامة بن لادن بفضل الدعم الأمريكي له أن يصبح زعيمًا لأكبر تنظيم إرهابي في العالم، بحيث أصبح صداع في رأس أمريكا، لدرجة أنها رصدت ملايين الدولارات لمن يرشد عنه، ولا يمكننا القول إلا أن أسامة بن لادن هو صناعة أمريكية خالصة؛ لأن القوة عندما تمنح لإنسان غير مسئول من جهة غير مسئولة فإنه يسيء استخدامها.

وقد أكدت التحقيقات الأمريكية بعد أسابيع قليلة من هجمات الحادي عشر من سبتمبر على مسئولية زعيم تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن عن هذه الهجمات، وبناء على ذلك، تحرَّكت الإدارة الأمريكية بسرعة بالغة، وأصدر الكونجرس بمجلسَيْه النواب والشيوخ قرارًا بالإجماع يسمح للرئيس بوش بالقيام بعمل عسكري ضد مرتكبي الهجوم الإرهابي على الولايات المتحدة، وبدأت الولايات المتحدة في حشد قواتها واستدعاء جنود الاحتياط لديها للاستعداد للحرب في أفغانستان ضد تنظيم القاعدة وحركة طالبان.

ولقد دقت الولايات المتحدة الأمريكية طبول الحرب على أفغانستان في السابع من أكتوبر عام ٢٠٠١، أي بعد مرور أقل من شهر على هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وقد جاء رد الفعل الأمريكي سريعًا على أحداث سبتمبر، في محاولة منها مداواة جراحها سريعًا وإعادة ثقة الشعب الأمريكي في حكومته وجيشه، بعد أن اهتزت هذه الثقة نتيجة وقوف جميع أجهزة الأمن الأمريكية عاجزة عن مواجهة ما حدث.

وقد وجدت هذه الحرب الدعم العالمي، حيث أيدتها جميع الدول، وتمت مباركتها في مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة؛ لأن وقوف أي دولة ضد قرار الولايات المتحدة في ذلك الوقت كان يعني إعلان الحرب معها، وقد حشدت الولايات المتحدة لهذه الحرب كل قواها العسكرية والاقتصادية؛ لأن الحرب مع أفغانستان لم تكن بالحرب السهلة، لعدة أسباب أهمها:

- الطبيعة الجبلية الصعبة التي تتمتع بها الأراضي الأفغانية، مما يعني صعوبة الغزو البري لها، بالإضافة إلى أن أفغانستان دولة حبيسة، ليست لها أي حدود بحرية.

- سوء الأحوال الجوية في أفغانستان معظم أوقات العام، خاصة في فصل الشتاء الذي تكون فيه درجات الحرارة منخفضة تحت درجة الصفر مئوية.

- سيطرة حركة طالبان على مقاليد السلطة، وعدم وجود حكومة أفغانية يمكن التفاهم معها، مما جعل مهمة الولايات المتحدة وحلفاؤها غاية في الصعوبة.

- سلبية الشعب الأفغاني وبعده عن المدنية والتحضُّر، وانصياعه التام للأوامر التي يتلقّاها من زعماء حركة طالبان دون مناقشة أو تفكير، فيبدو وكأنه شعب مغلوب على أمره.

بدأت الحرب الأمريكية على أفغانستان بقصف عنيف لمواقع تَمَركُز حركة طالبان، وقد سقط مئات الضحايا من أعضاء حركة طالبان وتنظيم القاعدة، كما سقط مئات الضحايا المدنيين أيضًا في هذه الحرب من أطفال ونساء وشيوخ، وتسببت هذه الحرب في كارثة إنسانية حقيقية، حيث غادر آلاف المدنيين الأفغان إلى الحدود الأفغانية مع البلاد الأخرى فرارًا من ويلات الحرب التي لم ترحم صغيرًا ولا كبيرًا، ولقد عانى هؤلاء مخاطر كثيرة تخطت مخاطر الحرب بمراحل، حيث واجهوا برودة الطقس بملابسهم التي لا تستر من أجسادهم أكثر مما تكشف، كما واجهوا نقص المياه والغذاء، والطبيعة الجبلية القاسية في هذه المناطق.

وبعد مرور أشهر قليلة على هذه الحرب بدأ الجميع يعلم أنها قد تستمر لسنوات طويلة، ستكون سنوات عجافًا على الشعب

الأفغاني؛ لأن قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة وجدت صعوبة شديدة في مواجهة حركة طالبان، التي كانت تسيطر على معظم المدن الأفغانية بما فيها العاصمة كابول، وحتى بعد سقوط معظم المدن الأفغانية في أيدي قوات التحالف، وتشكيل حكومة أفغانية برئاسة حامد كرزاي، إلا أننا نجد أن حركة طالبان ما زالت تسيطر على بعض المدن الأفغانية المهمة، وتتحصن بها، كما أنها تقوم بالعديد من العمليات الإرهابية داخل المدن التي تسيطر عليها قوات التحالف، والتي يكون أغلب ضحاياها من المدنيين، بالإضافة لعمليات اختطاف الأجانب الموجودين على الأراضي الأفغانية، فالأوضاع ما زالت غاية في السوء، ولم تتحسن كما وعدت الحكومة الأفغانية، والدول المانحة التي تقوم بعمليات الإعمار في أفغانستان، ونار الحرب التي أوقدتها الولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان لم تنطفئ بعد، وما زال أسامة بن لادن - الرأس المدبِّر لهجمات الحادي عشر من سبتمبر - حرًّا طليقًا، يهدد الأمن العالمي، ويعلن مسئوليته عن العديد من العمليات الإرهابية في بلاد أخرى، بالرغم من مرور أكثر من ثمانية أعوام على غزو أفغانستان.

والكارثة الحقيقية الآن تتمثل في إعلان العديد من دول التحالف عن رغبتها في الخروج من المستنقع الأفغاني بأقصى سرعة؛ بسبب الخسائر المادية والبشرية الفادحة التي منيت بها، حيث تحولت أفغانستان لمقبرة لجنود التحالف، بعد فشل جميع

الاستراتيجيات الحربية التي وُضعت للقضاء على تنظيم القاعدة وحركة طالبان، كما أن الإدارة الأمريكية الجديدة للرئيس باراك أوباما الذي خلف الرئيس بوش أصبح يضيق ذرعًا بما يحدث على الساحة الأفغانية، لعدم تحقيق أي تقدم يذكر على المستويين العسكري والإنساني، فعقارب الساعة في أفغانستان تعود للوراء، رغم كل الجهود المبذولة من أجل احتواء الأزمة هناك.

ولقد خلّفت تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر نتائج سلبية على المستويين العالمي والإسلامي.

- أولًا: النتائج والآثار السلبية لتفجيرات الحادي عشر من سبتمبر على المستوى العالمي:

١- تدهور حالة الاقتصاد العالمي:

وحدث هذا التدهور نتيجة اهتزاز الاقتصاد الأمريكي بعد ضرب برجي التجارة في نيويورك، العاصمة الاقتصادية للولايات المتحدة، حيث ارتفعت أسعار النفط والذهب، وحدث هبوط حاد في سوق الأوراق المالية العالمي، كما هبطت أسهم البورصات في جميع أنحاء العالم، خاصة في الدول التي ترتبط عملاتها بالدولار الأمريكي، وكان هذا هو التأثير المباشر لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، أما الأعوام اللاحقة

فقد تأثر فيها الاقتصاد بشكل كبير، خاصة بعد دخول الولايات المتحدة في أكثر من جبهة للقتال في العالم، حيث ارتفعت أسعار النفط بصورة كبيرة، وتخطَّى سعر برميل النفط الخام في عام ٢٠٠٨ سعر المائة وخمسين دولار للبرميل الواحد، في حين كان سعره قبل الهجمات مباشرة لا يتخطى ثمانية وعشرين دولارًا، كما ارتفعت أسعار السلع الغذائية والتجارية بجميع أنواعها في كل بلدان العالم، وانخفض سعر الدولار الأمريكي أمام العملة الأوربية الموحدة، مما أثَّر على اقتصاد العديد من الدول التي ترتبط عملاتها بالدولار الأمريكي.

٢- ظهور ما يسمَّى بدول محاور الشر:

حيث بدأ الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن عقب هجمات سبتمبر يروج لفكرة وجود دول تمثل محاور للشر في العالم، وهي من وجهة نظره: العراق، وإيران، وكوريا الشمالية، وكان يرى أنه إذا تم القضاء على الشر في هذه الدول الثلاثة يكون قد قضي على الشر في العالم كله، وهذه الفكرة المتطرفة كانت السبب في الترويج لأفكار متطرفة أخرى، مثل الدول الراعية للإرهاب، والدول المارقة، وهي الدول التي تتحدى رغبات الولايات المتحدة، والدول الخارجة عن القانون، وكل هذه الأفكار كانت وراء حدوث انقسام الدول ما بين مؤيد ومعارض لسياسة الولايات المتحدة.

٣- ظهور انقسامات وتحالفات جديدة بين الدول وبعضها:

عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر تعاطف العالم كله مع الولايات المتحدة، ولم تبد أية جهة رسمية معارضة لإعلان الحرب الأمريكية على أفغانستان، لكن بعد هدوء الوضع نسبيًّا، وإفصاح الولايات المتحدة عن نيَّتها في خوض حروب أخرى بدعوى القضاء على الإرهاب، مستغلة التعاطف العالمي معها، ظهرت العديد من الخلافات والانقسامات بين الدول، حيث أيَّدت بعض الدول الولايات المتحدة، في حين رفضت معظم الدول مساعدتها في خوض مثل هذه الحروب التي ليس لها أسباب مقنعة، وأصبح العالم ينقسم لحلفين، حلف يؤيد سياسة الولايات المتحدة دون أي معارضة، وحلف يرفض سياستها على الإطلاق.

٤- محاولة فرض الهيمنة الأمريكية على كافة الدول:

فالولايات المتحدة الأمريكية استغلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر لكي تفرض هيمنتها على باقي الدول، خاصة الدول الفقيرة والضعيفة التي لا تستطيع مواجهة القوة الأمريكية الغاشمة، وهي تريد من ذلك تحقيق مصالح سياسية واقتصادية، فالولايات المتحدة تستغل أي فرصة متاحة لها حتى تُحكِم قبضتها على العالم، وتثبت أنها ما زالت القوة الأولى في العالم، والتي لا تستطيع أي قوة أخرى أن تضاهيها.

٥- ارتفاع نسب الفقر والبطالة والمرض في العالم:

فالأموال التي كانت تخصصها الولايات المتحدة لمكافحة الفقر والبطالة والمرض في الدول الفقيرة استغلتها في الصرف على حروبها الانتقامية التي خاضتها بعد أحداث سبتمبر على الدول الراعية للإرهاب من وجهة نظرها، وقد فاقت نفقات تمويل هذه الحروب مليارات الدولارات، ولو أن الولايات المتحدة استغلت هذه الأموال في مكافحة مشاكل الفقر والبطالة والمرض في العالم كانت ستقضي على أهم أسباب انتشار الإرهاب في العالم.

٦- انتشار ظاهرة الإرهاب:

فالاتجاه العدائي الذي اتخذته الولايات المتحدة من الدول الأخرى بعد أحداث سبتمبر أدى لانتشار ظاهرة الإرهاب في العالم، حيث اتخذت الولايات المتحدة مبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع، وأصبحت تفترض أن أي دولة تمثل خطر يهدد أمنها القومي إلى أن يثبت العكس، وأي دولة تريد أن تأمن عداء الولايات المتحدة لها يجب أن تصدِّق على كل قراراتها حتى لو كانت خاطئة.

٧- محاولة تطبيع العالم بالثقافة والحضارة الأمريكية:

فالولايات المتحدة الأمريكية كانت دائمًا تريد إرساء فكرة الحضارة الواحدة، وهي الحضارة الأمريكية التي تسعى لفرضها

على باقي الدول، وبعد أحداث سبتمبر زادت الرغبة الأمريكية في ذلك، حتى تصبح باقي الدول تحت إمرة الولايات المتحدة، وتنفذ كل ما تريده منها دون مناقشة، فالولايات المتحدة تريد أن يتحدث الجميع بالثقافة الأمريكية؛ لأنها ترى أن الحضارة الأمريكية هي البديل الأمثل لباقي الحضارات التي لا ترى فائدة من وجودها، فهي حضارات عديمة النفع، يجب القضاء عليها وصهرها في بوتقة الحضارة الأمريكية.

- ثانيًا: النتائج والآثار السلبية لتفجيرات الحادي عشر من سبتمبر على العرب والمسلمين:

١ - ظهور الخلافات بين الدول الإسلامية وبعضها:

فالاعتداء الأمريكي على الكيان الإسلامي عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر أدَّى لنشوب أزمة حادة بين الدول الإسلامية وبعضها، نتيجة الاتهامات التي وجهتها بعض الدول الإسلامية لبعضها بمساعدة الولايات المتحدة في احتلال الدول الإسلامية، حيث سمحت بعض الدول الإسلامية للولايات المتحدة وحلفائها باستخدام أراضيها كقواعد حربية تقوم من خلالها بشن الهجوم على الدول الإسلامية التي احتلتها، كما ظهر خلاف آخر بين الدول الإسلامية وبعضها، حيث انقسمت بين مؤيد ومعارض لسياسة الولايات المتحدة تجاه

بعض الدول الإسلامية التي تراها خارجة عن القانون الدولي، لكن هذا الخلاف يكون على مستوى الحكومات فقط؛ لأن الشعوب الإسلامية ترفض أي اعتداء على الكيان الإسلامي.

هذه الأزمة بين الدول الإسلامية وبعضها ستقف عائقًا أمام توحيد كلمة الأمة الإسلامية كي تصد أي خطر يسداهمها، وبذلك تكون الولايات المتحدة قد استطاعت أن تفرق بين الدول الإسلامية وبعضها حتى تحقق مصالحها الشخصية.

٢- أصبحت الدول الإسلامية بيئة مناسبة لنمو الإرهاب:

حيث استغلت الجماعات المتطرفة الظروف الحالية التي تمر بها الأمة الإسلامية حتى تقوم بنشر أفكارها المتطرفة، من خلال الدعوة للإرهاب على أنه جهاد في سبيل الإسلام والمسلمين، فهذه الجماعات تقوم باستقطاب الشباب الذي لا يجد ما يشغله، وتقوم بتلقينه الأفكار المتطرفة التي تدعو لها.

وبهذا يكون اعتداء الولايات المتحدة على الكيان الإسلامي هو بداية حقيقية لانتشار الإرهاب عالميًّا؛ لأن العنف لا يولّد إلا العنف.

٣- تشويه صورة العرب والمسلمين أمام العالم:

فاتهام المسلمين بأنهم وراء تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر أظهر المسلمين كإرهابيين لا يعرفون سوى لغة الحرب

والتدمير للتفاهم، وبذلك أصبح الإرهاب يـرتبط في أذهـان الكثيرين بالإسلام والمسلمين، وقد استغلت الجماعات المتطرفة في الدول الغربية إلصاق اعتداءات سبتمبر بالمسلمين في الترويج ضد الإسلام، وإظهاره كدين يدعو للإرهاب، وترتب علـى ذلك مشاكل كثيرة، أهمها أن المـسلمين في الـدول الغربيـة أصبحوا مضطهدين ومنبوذين بسبب قلة عددهم، وما يؤكـد ذلك هو الاعتداءات التي تعرَّض لها المـسلمون والمقدَّسـات الإسلامية في الخارج.

هذه الصورة التي اتخذها الغرب عن الإسـلام والمـسلمين سوف تحتاج لسنوات طويلة كي يـتم تـصحيحها وتغـيير أفكارهم تجاه الإسلام والمسلمين.

٤- التدخل الغربي في الشئون الداخلية للدول الإسلامية:

فالاعتداء الأمريكي على العالم الإسلامي عقب أحـداث سبتمبر أدى لزيادة التدخُّل الغربي في شئون الدول الإسـلامية، حيث أصبحت الفرصة متاحة أمام الجميع للتـدخل في تغـيير سياسة الدول الإسلامية بما يناسـب أطمـاعهم الـسياسية والاقتصادية، بحجة أن الدول الإسلامية ضعيفة لا تستطيع إدارة أمورها بنفسها، فهي ليست مؤهَّلة بعد للحكم الديمقراطي.

إن التدخل الغربي في الشئون الإسلامية يزداد يومًا بعد يوم، والدول الإسلامية لم يعد في استطاعتها التصدِّي لهذا التـدخل؛

لأنها لو اعترضت عليه فسوف يتم اتهامها بأنها دول ترعى الإرهاب أو تساعد عليه.

٥- استغلال إسرائيل لأحداث سبتمبر ومحاولتها كسب التأييد العالمي:

قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بعام تقريبًا حدثت الانتفاضة الفلسطينية الثانية، كرد فعل طبيعي على زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي آرئيل شارون للمسجد الأقصى برفقة جنود الاحتلال الإسرائيلي، مما آثار غضب العالمين العربي والإسلامي، وقد ترتَّب على ذلك حدوث مواجهات عنيفة بين الشعب الفلسطيني الأعزل وجيش الاحتلال الصهيوني، أسفرت عن سقوط مئات الضحايا من الشعب الفلسطيني نتيجة التفوق العسكري الصهيوني الذي تدعمه وتحرص عليه الولايات المتحدة.

ولقد استغلت إسرائيل فرصة إلصاق اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر بالإسلام والمسلمين في صالحها، إن لم تكن هي التي روَّجت لها، حيث أظهرت مقاومة الشعب الفلسطيني ضد جنود الاحتلال الإسرائيلي على أنها إرهاب، وبهذا استطاعت إسرائيل أن تكسب تأييد وعطف العالم الغربي عليها بعد تشويه صورة العرب والمسلمين في الخارج، والربط بين المسلمين والإرهاب، فالظروف كلها أصبحت في صالح إسرائيل لكي

تملي شروطها على العالم العربي بصفة عامة والشعب الفلسطيني بصفة خاصة.

وقد كان لسيطرة اليهود على وسائل الإعلام الغربي الأثــر الأكبر في إظهار إسرائيل بصورة المجني عليها، وأن كل ما تفعله ليس إلا محاولة للحفاظ على كيانها وسط العالم العربي، كمــا أنها أظهرت المقاومة الفلسطينية المشروعة على أنها إرهاب، وأن كل هدف المقاومة هو القضاء على الوجود الإسرائيلي.

إن إظهار صورة المقاومة الفلسطينية أمام العالم الغربي علــى أنها مقاومة إرهابية غير مشروعة جاء بشكل سريع ومفــاجئ، ولتصحيح هذه الصورة سوف نحتاج لسنوات طويلة ومجهــود كبير.

٦- مصادرة الفكر العربي والإسلامي، من خــلال قــصر جهود المفكرين العرب والمسلمين على أفكار الحرب والدمار، وكيفية التخلص من آثارها السلبية:

بعد أحداث سبتمبر أصبح الاعتداء الأمريكي على العــالم الإسلامي هو الحدث الرئيسي المسيطر علــى الفكــر العــربي والإسلامي، وقد أحدث ذلك خللًا كبيرًا في الفكــر العــربي والإسلامي؛ لأن اهتمام المفكرين أصبح منــصبًّا علــى هــذه الأحداث الخاصة بالاعتداء الأمريكي على الكيان الإســلامي، وأصبحت أفكارهم مقيدة بالحديث عن ثقافة الحرب، ومناقشة

أسبابها، وكيفية التخلص من آثارها السلبية، وبهذا يكون الفكر العربي والإسلامي قد تم حبسه في نوع واحد من الفكر الخاص بالحرب والدمار والتخريب، وهذا بالتأكيد سوف يؤدي لحدوث أزمة ثقافية في العالم الإسلامي على المدى البعيد؛ لأن الثقافة هي التي تشكل الفكر الإنساني وتكونه، والاقتصار على نوع واحد من الثقافة يؤدي لحدوث خلل فكري في المجتمع.

وثقافة العرب والمسلمين في ظل الاعتداء الأمريكي على الكيان الإسلامي لم تعد تلبي مطالب الأفراد من الثقافة التي يحتاجون إليها لكي ينمو فكرهم بشكل صحيح وسوي.

إلى العراق..

بعد مرور عام ونصف العام على الحـــرب الأمريكيـــة في أفغانستان دون أن تحقق أهدافها المنشودة التي وضـــعتها الإدارة الأمريكية، قرر الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش أن يفـــتح جبهة جديدة للقتال، ويخوض حربًا ضد العـــراق، وكانـــت مبرراته لخوض هذه الحرب هي استكمال حربه المقدسة علـــى الإرهاب، ضد هذه الدولة التي وصفها سابقًا بأنها إحدى دول محاور الشر في العالم، بالإضافة للقضاء على أســـلحة الـــدمار الشامل التي كان يزعم وجودها في العراق.

أسباب الحرب الأمريكية على العراق:

والحرب على العراق لها أسباب ظاهرية، وهي الأسباب التي أعلنتها الإدارة الأمريكية لتبرير الحرب، ولها أيـــضًا أســـباب حقيقية غير معلنة.

أولًا: الأسباب الظاهرية للحرب الأمريكية على العراق:

١- البحث عن أسلحة الدمار الشامل:

وهو السبب الرئيسي الذي دعا الولايات المتحـــدة لغـــزو العراق - كما أعلن قادتها، حيث ادعت الولايات المتحـــدة أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل متطورة للأغراض الحربيـــة، وقررت إعلان الحرب عليه للتخلص من هذه الأسلحة؛ لأنهـــا تشكل خطرًا كبيرًا يهدد الأمن الأمريكي والعالمي، وبسبب هذا

الادعاء الذي ثبت كذبه، بعد ذلك وافق معظم الشعب الأمريكي على خوض هذه الحرب في بدايتها، كما وافق الكونجرس الأمريكي بمجلسيه الشيوخ والنواب على خوض هذه الحرب بأغلبية ساحقة؛ حيث كانت الأغلبية وقتها من الحزب الجمهوري الذي ينتمي إليه الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن.

٢- تحرير العراق من حكم الطاغية صدام حسين:

حيث أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش أنه ذاهب للعراق لتخليصه من حكم الطاغية صدام حسين الذي يحكم البلاد بقبضة من حديد ولا يستطيع أحد أن يقف أمامه ليواجهه، فالرئيس بوش كان يرى أن الرئيس صدام حسين ديكتاتور وطاغية يجب القضاء عليه، حتى يتمكن من إحلال الديمقراطية المفقودة في العراق، ويؤمّن الحرية للشعب العراقي، وهو ما لم يصدقه أحد من شعوب العالم أجمع؛ لأن الديمقراطية لا تُفرض أو تُمنح للشعوب، ولكنها تأتي من إرادة الشعوب الحرة.

٣- الولايات المتحدة في حالة دفاع عن النفس:

فالولايات المتحدة بررت حربها على العراق بأنها في حالة دفاع عن النفس؛ لأنها تخشى من وقوع هجمات مماثلة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، والتي نتج عنها كارثة

حقيقية أثّرت على الشعب الأمريكي والعالم أجمع، ولهذا وجدت الحرب الأمريكية على العراق في بدايتها المساندة الشعبية بسبب الخوف من تكرار ما حدث مرة أخرى، حيث أقنع القادة الأمريكيين شعبهم بأن العراق يمثل خطرًا حقيقيًّا يهدد أمن الولايات المتحدة واستقرارها.

٤- القضاء على الإرهاب:

فقد أعلن الرئيس بوش أن الحرب على العراق تأتي في إطار الحرب الأمريكية على الإرهاب، والتي بدأها الولايات المتحدة عقب أحداث سبتمبر؛ لأن الرئيس الأمريكي كان قد أعلن سابقًا أن الولايات المتحدة هي من سينهي الحرب على الإرهاب، وأنه قد أخذ على عاتقه مهمة تخليص العالم من الإرهاب، ولأن الولايات المتحدة ترى أن العراق دولة راعية للإرهاب ومحرضة عليه، فقد أعلنت الحرب عليها.

٥- إرساء قيم العدالة في العالم:

حيث أعلن الرئيس الأمريكي أن الحرب على الإرهاب تستهدف حماية الأمريكيين وإرساء قيم العدالة في العالم، والرئيس الأمريكي كان يقصد إرساء قيم العدالة من وجهة النظر الأمريكية، والتي من المفروض أن يتقبلها العالم دون مناقشة؛ لأنها طريق الخلاصُ الوحيد من نار الحرب الأمريكية.

٦- إدخال العراق الحظيرة الدولية:

فالرئيس الأمريكي كان يرى أن العراق خرج عن القـــانون والعرف العالمي، وأنه يجب العمل على ترويضه بإعلان الحرب عليه، حتى يخضع للقانون العالمي ويدخل الحظيرة الدولية مــرة أخرى، حيث اعتبر الرئيس الأمريكي العراق إحدى دول محاور الشر في العالم، والتي يجب القضاء عليها.

٧- وجود علاقة بين العراق وتنظيم القاعدة:

فالإدارة الأمريكية أكدت قبل الحرب الأمريكية على العراق عن وجود علاقة قوية بين النظام العراقي وتنظـــيم القاعـــدة، وظلت تؤكد مرارًا وتكرارًا عن وجود هذه العلاقة، وأن النظام العراقي يعتبر مموِّل رئيسي لتنظيم القاعـــدة، وأن لـــه يـــد في تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر.

وقد نفى تقرير الكونجرس الأمريكي النهائي عن أحـــداث سبتمبر وجود مثل هذه العلاقة بين العراق وتنظيم القاعدة..

ثانيًا: الأسباب الحقيقية للحرب الأمريكية على العراق:

١- الاستيلاء على الثروة النفطية للعراق:

من المعروف أن النفط هو أساس الصناعة الأمريكية، لهـــذا أرادت الولايات المتحدة أن تقوم بتأمين مصدر نفطي تضمن به

استمرار بقائها على قمة الدول الصناعية في العالم، ولن يتحقق ذلك إلا بسيطرتها على دولة تمتلك كميات هائلة من النفط، ولقد وقع اختيار الولايات المتحدة على العراق لعدة أسباب، أهمها أن العراق هي إحدى دول منظمة الأوبك، وتحتل المرتبة الأولى في العالم بين الدول المنتجة للبترول في العالم، والأهم من ذلك أن العراق دولة يمكن تلفيق ذرائع لشن الحرب عليها.

٢- إثبات قدرة الولايات المتحدة على استمرار قيادة العالم:

فالولايات المتحدة هي الدولة الأولى في العالم الآن، وخوفها من أن تفقد مقاليد السلطة العالمية، وتراجعها للمرتبة الثانية، جعلها تحاول أن تثبت أنها ما زالت قادرة على قيادة العالم بكافة الطرق، مستخدمة في ذلك وسائل مشروعة وغير مشروعة، خاصة وأن العالم يشهد الآن طفرة اقتصادية كبيرة تمر بها بعض الدول، مثل الصين التي تسمَّى بالعملاق القادم، واليابان التي وصلت لقمة التكنولوجيا العالمية، والدب الروسي الذي يحاول أن يستعيد الأمجاد الروسية مرة أخرى.

٣- إثبات التفوق الأمريكي في المجال الحربي:

فالولايات المتحدة أرادت أن تثبت للعالم أجمع أنها ما زالت رائدة في مجال التسلح الحربي، وأنها قادرة على شن أي حرب والانتصار فيها، وذلك حتى تمنع أي أحد من مجرد التفكير في

المساس بالكيان الأمريكي، خاصة بعد أحداث سبتمبر التي هزت من صورة الأمن الأمريكي أمام العالم.

فالولايات المتحدة أرادت تذكير الجميع بقدرتها على خوض الحروب وإرهاب العالم؛ لأنها تمتلك أكبر ترسانة حربية ونووية في العالم.

٤-أن يثأر الرئيس الأمريكي بوش الابن لأبيه من الرئيس العراقي صدام حسين:

فالرئيس العراقي صدام حسين كان الغريم الأول للرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الأب، حيث حدثت بينهما حرب كلامية عنيفة، بعد أن تدخلت الولايات المتحدة للدفاع عن الكويت في حربها مع العراق عام ١٩٩١، وذلك عندما أراد الرئيس العراقي صدام حسين أن يضم الكويت لتصبح المحافظة العراقية التاسعة عشر، ولكن وقوف الولايات المتحدة بقيادة الرئيس جورج بوش الأب وحلفائه حال دون ذلك، وأدَّى لفرض عقوبات دولية صارمة على العراق؛ حيث تم إخضاعها لبرنامج النفط مقابل الغذاء.

والحقيقة أن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن لم يكتف بما وصل إليه العراق من وهن اقتصادي، وضعف في الأحوال المعيشية بشكل عام، وأراد أن يكمل ما بدأه والده، ويقضي

على ما تبقَّى من العراق، ويُخضع الرئيس صدام حسين؛ حيث يعاني هو ووالده من فوبيا اسمها صدام.

٥- إرهاب الدول التي بدأت تُظهِر تمردًا على حكم الولايات المتحدة للعالم:

حيث أعلنت الكثير من الدول رفضها لطريقة الولايات المتحدة في إدارة شئون العالم، مثل إيران وفنزويلا وكوبا وسوريا والسودان، وغيرها من الدول التي تعارض سياسة الولايات المتحدة، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ حيث بدأت بعض الدول في عمل تحالفات للوقوف ضد الهيمنة الأمريكية على العالم، مما أثار حفيظة الولايات المتحدة وجعلها تفكر في إخضاع إحدى هذه الدول، وهي العراق التي كانت من أكثر الدول معارضة لسياسة الولايات المتحدة في العالم، وذلك حتى تجعل باقي الدول تتراجع عن موقفها العدائي تجاه الولايات المتحدة، وتمنع ظهور أي قوى معارضة أخرى لها.

٦- مساعدة إسرائيل على زيادة نفوذها في المنطقة العربية:

فالولايات المتحدة أرادت من حربها على العراق أن تصل الرسالة صريحة للعالم العربي، وهي أنها تقف وراء إسرائيل بكل ما لديها من قوة، وأنها لن تسمح بحدوث أي شيء لها، خاصة وأن الرئيس العراقي صدام حسين كان دائمًا ما يشير لضرورة

القضاء على ما يسمى بدولة إسرائيل، ومن المعروف تاريخيًا أن الولايات المتحدة هي الحليف الأول لإسرائيل، وأنها الجدار الذي تحتمي به إسرائيل وتقف خلفه.

والولايات المتحدة تريد زيادة نفوذ إسرائيل في المنطقة العربية؛ لأن ذلك يحقق مصالحها، حيث إن الاضطرابات التي تبقي عليها إسرائيل في المنطقة العربية تزيد من إمكانية التدخل الأمريكي في الشئون العربية بشكل أكبر، وهو ما تسعى إليه الولايات المتحدة.

٧- زرع بذور الفتنة بين الدول العربية وبعضها:

فالولايات المتحدة كانت تقصد من وراء حربها على العراق زرع بذور الفتنة بين الدول العربية وبعضها، من خلال انقسامها بين مؤيد ومعارض لهذه الحرب، مستغلة عداء كثير من الدول العربية للرئيس العراقي صدام حسين.

وبالفعل تحالفت بعض الدول العربية مع الولايات المتحدة في

حربها على العراق، مما أدّى لحدوث أزمة سياسية بين الدول العربية وبعضها، وتبادل الاتهامات بالخيانة والعمالة لصالح الولايات المتحدة وإسرائيل.

هذا الخلاف بين الدول العربية وبعضها يصب أولًا في مصلحة الولايات المتحدة على المستويين الاقتصادي والسياسي؛

لأن توحيد كلمة الأمة العربية سيجعل منها كيانًا اقتصاديًّا وسياسيًّا كبيرًا يمكّنها من الاستغناء عن التبعية الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة، ويجعل للعرب الحق في تقرير مصيرهم.

٨- تغيير المنطقة العربية:

فالولايات المتحدة تسعى لتغيير المنطقة العربية من خلال مخطط معلن عنه، هو مبادرة الشرق الأوسط الكبير، والذي يمتد من بلاد المغرب وحتى أفغانستان، وهذه المبادرة في ظاهرها مبادرة للإصلاح الديمقراطي في هذه البلاد، حيث ترى الولايات المتحدة أن جميع هذه البلاد منتقصة الحرية والديمقراطية، وأنها الوحيدة القادرة على إعادة الحرية والديمقراطية لها، أما في باطنها فهي مبادرة لزيادة الهيمنة والسيطرة، فكل هذا التغيير والإصلاح الديمقراطي في المنطقة الذي تدعو إليه الولايات المتحدة لا يتماشى، إلا مع المصالح الأمريكية متخطيًا المصالح الخاصة بكل دولة، فهو لا يحقق إلا السيطرة الأمريكية على الدول العربية والإسلامية.

لقد شاء القدر أن يعيد التاريخ نفسه في العراق مرة أخرى، فبعد احتلال القوات البريطانية للعراق عام ١٩١٧، وجّه القائد العام لهذه القوات الجنرال مود خطابًا للشعب العراقي جاء فيه:

يا أهالي ولاية بغداد... إنني باسم جلالة ملكي المعظّم، واسم شعوبه التي يحكم عليها، أوجه إليكم الخطاب التالي: إن الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو وإخراجه من هذه الأصقاع، وإتمامًا لهذه المهمة، وجّهت إليّ السلطة العليا المطلقة على جميع الأطراف التي تتحارب فيها جنودنا.

ألا إن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أو أعداء، بل بمنزلة محررين، فقد أخضع موطنكم منذ أيام هولاكو لمظالم الغرباء، فتخربت قصوركم، وتجرّدت حدائقكم، وأنّت أشخاصكم وأسلافكم من جور الاسترقاق، لقد سيق أبناؤكم إلى حروب لم تنشدوها، وجرّدكم القوم الظلمة من ثرواتكم وبددوها في أصقاع شاسعة".

وخطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن الذي أعلن فيه بدء الحملة العسكرية على العراق يوم ٢. مارس ٢٠٠٣ لا يختلف كثيرًا في مضمونه عن خطاب الجنرال مود؛ حيث اتفق الاثنان على تحرير العراق، والفرق الوحيد بين الخطابين هو الفارق الزمني بينهما، وهذه ليست مجرد مصادفة، ولكنها السياسة الغربية المتبعة تجاه العرب والمسلمين منذ بدء الهيمنة الغربية على العالم.

نص خطاب بوش الذي أعلن فيه بدء الحملة العسكرية على العراق: "في هذه الساعة فإن القوات الأمريكية العسكرية تقوم

بعمليات عسكرية من أجل نــزع ســلاح العــراق، ووفقًــا لأوامري، فإن قوات التحالف بدأت في انتقاء بعض الأهداف، أو ضرب بعض الأهداف المنتقاة؛ لشل قدرة صدام حــسين، تلك المراحل البدائية هي أول مراحل الحملة العسكرية، أكثــر من خمسة وسبعين دولة قامت بمساندتي لإتمام هــذا الهجــوم الحربي، سواء بالمجهود الاستخباراتي أو استخدام القوة الحربية، وكل دولة في هذا التحالف قد اختارت هدفًا أو مهام، ونشاطر إذن هذا الشرف لهذا الدفاع المشترك والجماعي لكل أبنــائي وبناتي في الجيش الأمريكي.. آمل لكم حظًّا سعيدًا، فكل العالم يعتمد عليكم الآن ويثق بكم.

العدو الذي تواجهونه ســيعرف قــدراتكم ومهــارتكم، والشعب الذي تحررونه سيشهد على هذه الروح القتالية.. وفي هذا الصراع فإن الولايات المتحدة تواجه عــدوًّا لا يحتــرم أي مواثيق للحرب.

صدام حسين قد وضع المعدات العسكرية وجيشه في المناطق المدنية، ليعرض بذلك الرجال والنساء ويستخدمهم كــدروع بشرية، وهو طغيان واستبداد وقوة نهائية، وعلى الأمــريكيين وكل العالم أن يعرف أن قوات التحالف ستبذل كــل جهــد لحماية أي روح مدنية.

هذه الحملة الكبيرة تتناول دولة كبيرة وستكون صعبة....

وليس للمرء سوى أن يتوقع كل شيء حتى نصل إلى عراق مستقر وحر ونلتزم بتعهداتنا.

سنأتي إلى العراق باحترام لمواطنيهــا ولحــضارتها العريقــة ولديانتها وعقائدها الدينية، ليس لدينا أي طموحات في العراق سوى رفع الظلم والتهديد وإرجاع البلد إلى أهله.

أعرف أن أسر العسكريين تدعو الله أن يعــودوا بأمــان، الملايين من الأمريكيين يدعون معــي لأبنــائكم وســلامتكم ولحماية الشعوب البريئة.. لكم من أجل ذلك كل احترامــي.. وتقديري للشعب الأمريكي.. وعليكم أن تعرفــوا أن قواتنــا ستعود إلى ديارها في أسرع وقت ممكن بعــد انتــهاء تلــك المعارك.

إن شعب الولايات المتحدة الأمريكية وأصدقاءها من الحلفاء لن يقعوا تحت رحمة نظام استبدادي طاغية يهدد العالم وسلامه بأسلحة الدمار الشامل.. علينا أن نضرب بكل قوة هذا التهديد بالبحرية والجيش والطيران وكل شيء حتى لا نــرى الأطبــاء وعربات الإسعاف تأتي إلى مدننا لترفع الأنقاض.

المسألة الآن تتعلق بتلك الضربات العسكرية.. وأقولها لكم بكل صراحة.. لن تكون هذه حملــة ضــعيفة أو وســطى أو

متوسطة، الهدف هو الربح والانتصار، وستتغلب على هذه المرحلة، وستتغلب على هذا الوقت العصيب.. آملين وشاخصين إلى السلام، وللدفاع عن حريتنا، وسنذهب بالحرية إلى الآخرين، وسنسود.

فليبارك الله بلادنا وكل من يدافعون عنها"...

لقد قامت الولايات المتحدة بالاستعداد للحرب على العراق بإعلانها عن رغبتها في تشكيل تحالف كبير مع الدول التي ساندتها في الحرب على أفغانستان، ولكنها لم تجد التعاون المنشود؛ حيث عارضت معظم الدول الكبرى الحرب على العراق، ورفضت الدخول في حرب ليس لها أهداف منطقية، وكان على رأس هذه الدول فرنسا وألمانيا وروسيا والصين، وكما لم تجد الولايات المتحدة دعم الدول الكبرى، فإنها لم تجد أيضًا الدعم الدولي لها؛ حيث عارضت جميع المنظمات الدولية الرغبة الأمريكية في إعلان الحرب على العراق، وفي مقدمتها مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة.

ورغم كل هذا دقَّت الولايات المتحدة طبول الحرب مرة أخرى، ولكن هذه المرة احتفظ الرئيس بوش بموعد ساعة الصفر لنفسه؛ حتى يفاجئ العالم أجمع، ويعلن تحدِّيه لكل من عارضوا قرار الحرب، وقد بدأ هجوم التحالف الأنجلو أمريكي

على العراق يوم ٢. مارس ٢٠٠٣؛ أي مع بداية فصل الربيع الذي أبى أن يأتي العراق هذا العام، وبدلًا من أن تضيء الألعاب النارية سماء العراق هذا اليوم احتفالًا بقدوم الربيع، أضاءها القنابل العنقودية والذكية والفسفورية.

أما عن رد الفعل العالمي عقب الإعلان عن بدء الحرب فلم يكن على مستوى الحدث، وكأن ما حدث هو أمر طبيعي كان لا بد أن يحدث منذ زمن، فنحن لم نسمع سوى كلمات التنديد والشجب التي عادة ما نسمعها عند الاعتداء على الأمة الإسلامية والعربية، والحقيقة أننا لم نسمع هذه الكلمات من المنظمات العربية والإسلامية فقط، ولكننا سمعناها أيضًا من المنظمات العالمية بقيادة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ولهذا فإن الحرب الأمريكية على العراق قد أسقطت ما تبقّى من هيبة الأمم المتحدة أمام العالم أجمع؛ لأنها لم تستطع القيام بواجبها، وهو منع الحرب غير المشروعة أو إيقافها، بل إن الكارثة الحقيقة تتمثل في أنها سحبت ممثليها من العراق يوم ١٧ مارس ٢٠٠٣؛ أي قبل بدء الحرب الأمريكية على العراق بثلاثة أيام فقط، وحمّلت كل من يظل هناك مسئولية نفسه، وذلك بعد الضغوط الأمريكية عليها، مما يؤكد أن الولايات المتحدة قد جمّدت دور هيئة الأمم المتحدة في الدفاع عن حقوق الإنسان،

وكان الرئيس العراقي صدام حسين قد فتح قصور الرئاسة أمام مفتشي الأمم المتحدة في نوفمبر ٢٠٠٢؛ ليتأكدوا من خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل.

أما عن مجلس الأمن الدولي، فقد أثبتت الحرب الأمريكية على العراق أنه فاقد لصلاحياته؛ حيث لم تعبأ الدول دائمة العضوية بقرار الحرب، فقط اكتفت هذه الدول بإعلان عدم المشاركة في هذه الحرب، وإعلان رفضها لها، ولم تستطع أي دولة من الدول دائمة العضوية استصدار فيتو لمنع هذه الحرب، وذلك حتى لا تفقد هيبتها أمام العالم في حال اضطرت للوقوف أمام إرادة الولايات المتحدة، فالمصالح الشخصية لهذه الدول هي التي تتحدث، أما حياة الشعوب الأخرى فلا تهم، وكان مجلس الأمن الدولي قد انعقد قبل الحرب على العراق لمناقشة قرار الحرب، ولم يحضر ممثل عن الولايات المتحدة هذه الجلسة، ورغم معارضة جميع الدول من أعضاء مجلس الأمن لقرار الحرب - ما عدا بريطانيا الحليف الأول للولايات المتحدة، إلا أن الولايات المتحدة أعلنت الحرب متحدية إرادة الجميع، ضاربة بكل القوانين الدولية عرض الحائط.

والملاحظ من كل هذا أن جميع المنظمات العالمية التي حملت على عاتقها الدفاع عن حقوق الإنسان قد تم تهميش دورها

عند اتخاذ الولايات المتحدة قرارها بالحرب على العراق، وأصبح دور هذه المنظمات هو مجرد إبداء الرأي ووجهات النظر، فهي لا تفعل سوى التنديد والشجب إزاء انتهاك حقوق الإنسان، حيث أصبح قانون الغاب هو الحاكم الشرعي والوحيد لهذا العالم الذي يحارب فيه القوي الضعيف؛ ليجعل منه عبرة للآخرين، وأصبح الحوار لغة جافة غير مجدية؛ فهي مجرد إضاعة للوقت والجهد.

وقد بدأت الحرب الأنجلو أمريكية على العراق شديدة القوة؛ حيث استخدمت قوات التحالف كل ما لديها من عدة وعتاد للفتك بكل مدن العراق، وكانت شاشات التلفزيون في جميع أنحاء العالم تنقل هذا الحدث على الهواء مباشرة؛ ليرى العالم أجمع كيف تتصرف الولايات المتحدة مع الدول التي تخرج عن طوع بنانها، فالحرب على العراق كانت رسالة لأي دولة تفكر في الخروج من تحت العباءة الأمريكية التي تسع جميع الدول، كما يرى من حاك هذه العباءة، والتي هي في الحقيقة تسلب من الدول حقها في الشعور بالاستقلال والحرية.

ورغم قوة الضربة الأمريكية، إلا أننا سمعنا كثيرًا في الأيام الأولى للحرب عن مقتل جنود قوات الاحتلال بنيران صديقة، وذلك تبعًا لوسائل الإعلام الأمريكي، لدرجة أن الجميع بدأ يعتقد أن الحرب ستكون صديقة.

وقد بدت الأيام الأولى للحرب على العراق أشبه ببعضها، فالتصريحات التي يعلنها كل من الجانبين الأمريكي والعراقي لا تتغير، فالجانب العراقي يعلن كل يوم على لسان وزير الإعلام محمد سعيد الصحَّاف الذي يعقد اجتماع مع مراسلين من جميع أنحاء العالم أن الجيش الأمريكي يتكبَّد خسائر فادحة، ويشهد مقاومة عنيفة من جانب قوات الجيش العراقي التي تقاتل بضراوة، ويعلن عن مقتل العشرات من جنود قوات التحالف في جميع المدن العراقية، بالإضافة لإسقاط العديد من طائرات العدو، وتدمير المزيد من المدرَّعات والآليات العسكرية، كما أن الرئيس العراقي صدام حسين كان يخرج علينا هو الآخر كل عدة أيام بتصريحات مشابهة، ويؤكد على أن العراق صامد حتى النهاية في وجه قوات الاحتلال، في الوقت نفسه، وعلى الجانب الآخر، كان جيش الاحتلال يعلن عن سقوط المدن العراقية واحدة تلو الأخرى، وسقوط مئات المقاومين، وتناقص أعدادهم يومًا بعد يوم.

وقد استمرت هذه الحرب الإعلامية بين الجانبين حتى صبيحة يوم التاسع من إبريل عام ٢٠٠٣، حين أعلنت الولايات المتحدة عن سقوط بغداد في أيدي قوات التحالف، وهو الخبر الذي أكدته جميع وسائل الإعلام، في حين لم تسقط بغداد، حيث سكت وزير الإعلام العراقي عن الكلام المباح،

وسكت العالم أجمع بالإعلان عن سقوط بغداد دون أي مقاومة.

إن سهولة وسرعة سقوط بغداد في أيدي قوات التحالف الأنجلو أمريكي أدهشت العالم أجمع؛ لأن تضخيم الرئيس الأمريكي لخطورة العراق على الأمن العالمي قبل الحرب لا يتناسب مع احتلاله بشكل كامل خلال فترة لا تتعدّى الثلاثين يومًا، فما حدث يوم سقوط بغداد كان أشبه بقصة تراجيدية، حيث دخلت قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي دون أي مقاومة، وبدأ أهالي بغداد في الخروج للشوارع لاستقبال جنود التحالف والتحدث معهم، وتجمعوا حول تماثيل الرئيس العراقي صدام حسين وأسقطوها على الأرض وسط صيحات عالية، وأزالوا جميع الصور المعلقة للرئيس العراقي في جميع أنحاء بغداد، الحقيقة أن قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي قد أظهرت للعالم ما تريد أن يظهر فقط، وخبأت عنهم حقيقة ما حدث في ذلك اليوم؛ لأن ما شاهده العالم كان نصف الحقيقة الحلو، حيث أنه على الجانب الآخر كانت قوات الاحتلال تواجه مقاومة شرسة، على الرغم من عدم وجود قوات من الجيش العراقي تدعم هذه المقاومة؛ لأن الجيش العراقي استسلم لما يحدث على أرض الواقع بعد اختفاء الرئيس العراقي من ساحة المعركة.

وقد بدأت وسائل الإعلام العالمية تتخيل السيناريوهات التي أدّت إلى سقوط بغداد بهذه السهولة في أيدي قوات الاحتلال

الأنجلو أمريكي؛ حيث تم الترويج لوجود صفقة سرية بين الرئيس العراقي صدام حسين والإدارة الأمريكية، تقضي بتسليم الرئيس العراقي مفاتيح بغداد مقابل تسهيل الإدارة الأمريكية خروجه الآمن من العراق مع عائلته، وتأمين مكان يعيش فيه، وإعطائه كل ثرواته. كما تم الترويج لسيناريو آخر، وهو أن الرئيس العراقي هرب قبل احتلال العراق بأيام، وأخذ عائلته وكل ثروته معه، وأن الشرائط التي كانت تُبَث له مسجلة مسبقًا، لكن عرض شاشات التلفزيون للرئيس العراقي صدام حسين وهو يمشي وسط أنصاره في حي الأعظمية ببغداد عقب سقوطها دحض هذه الفكرة، كما أظهرت بعض وسائل الإعلام أن سقوط بغداد جاء نتيجة خيانة شعبية، ولكن الشعب العراقي الصامد أكبر من أن يوصف بالخيانة، والدليل على ذلك المقاومة الشعبية التي اشتدت على قوات الاحتلال عقب هذا السقوط الدرامي، أما أكثر الروايات التي لاقت مصداقية هي أن سقوط بغداد لم يأتِ نتيجة تفوُّق قوات الاحتلال، ولكنه جاء نتيجة تعاون بعض الخائنين من قادة الجيش العراقي. وممن كانوا حول الرئيس العراقي، مع قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي.

إن الاختلاف حول حقيقة ما حدث للرئيس العراقي صدام حسين عقب سقوط بغداد كان نتيجة للجدل حول شخصيته التي حيرت الكثيرين، فلم يكن هناك أحد يستطيع أن يتنبأ بما يفكر الرئيس صدام في فعله؛ لأنه كان يفعل ما يحلو له وقتما يشاء دون أن يخبر أحدًا بما ينوي فعله، كما لم يكن يهتم برأي الآخرين فيه لثقته الزائدة في نفسه، والدليل على ذلك تاريخ حياته المليء بالمفارقات الغريبة؛ فصدام حسين انضم لحزب البعث الثوري في العراق وهو صغير السن، وأصبح أحد أهم أعضائه خلال سنوات قليلة، وقد شارك في الانقلاب الدموي على الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣، كما شارك بفاعلية في انقلاب عام ١٩٦٨، وأصبح نائبًا للرئيس، ثم تخلّى له الرئيس أحمد حسن البكر عن الرئاسة عام ١٩٧٩، وبعد عام واحد من توليه سُدَّة الحكم في العراق، دخل في حرب مع إيران عام ١٩٨٠، والتي استمرت ثماني سنوات، عانى خلالها الشعبين من ويلاتها، ثم بعد ثلاث سنوات فقط من انتهاء الحرب مع طهران دخل في حرب جديدة ضد الكويت عام ١٩٩١، والتي كانت البداية الحقيقية لأفول نجم صدام حسين؛ حيث تدخّلت الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدة الكويت وسط تأييد عالمي لها، وبعدها تم عزل العراق دوليًّا، وفرض عقوبات سياسية واقتصادية عليه، وتم تطبيق برنامج النفط

مقابل الغذاء، الذي كان القشة التي قصمت ظهر البعير، حيث دخل العراق في معاناة اقتصادية بعد أن كان مؤهلًا ليصبح على قمة الاقتصاد العربي.

أما الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، فلم يكن هناك أحد في سعادته بعد سماعه خبر سقوط بغداد؛ لأنه لم يكن يحلم بهذا السقوط السريع، وقد وجَّه خطابًا للشعب الأمريكي جاء فيه:

"أسعدتم صباحا.. شهد العالم خلال الأيام القليلة الماضية نظام صدام حسين وهو يتهاوى ويصبح في طي التاريخ، وسنظل نذكر دائمًا الصور الأولى للشعب العراقي وهو ينطلق من عقال عقود من الاستبداد والخوف، ومع أن الحرب ما زالت مستمرة في العراق، وقد تواجه قواتنا العسكرية قتالًا صعبًا، فإن تماثيل الديكتاتور وكل أعمال نظامه الإرهابي آخذة في الانهيار.

وقد عملت القوات الأمريكية وقوات التحالف منذ البداية وحتى هذه الساعة على التصرف بكل البراعة والشرف المتوقعين منها، فقد شهد العدو بسالة قواتنا، وها هو الشعب العراقي يشهد عطف قواتنا، وهي توفِّر الغذاء والماء والعناية الطبية لكل محتاجيها، بمن فيهم الجنود الأسرى العراقيون.

وفيما يتم وضع نهاية لنظام صدام التخويفي، يكشف أبناء الشعب العراقي عن حقيقة مشاعر الأمل التي طالما أكنُّوها، وليس مفاجأة لأحد أن العراقيين كغيرهم من الناس جميعًا، يرفضون الظلم ويرحِّبون بالحرية، ولا ينبغي أن يكون مفاجئًا لأحد أن الضمير الإنساني في كل شعب، وفي كل حضارة، إنما يتوق إلى الأشياء الخيِّرة ذاتها وينشدها، ألا وهي الكرامة والحرية، وفرصة بناء حياة أفضل.

وإذ يحتفل الشعب في كل أنحاء العراق بمقدم الحرية، فإن أمريكا تحتفل معهم، فنحن ندرك أن الحرية هبة من الله لكل أبناء البشرية، ونبتهج عندما يصبح بمقدور الآخرين المشاركة بنصيب منها".

بعد دخول قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي للعراق، كان أول ما قامت به هو وضع قائمة مكونة من خمسة وخمسين اسمًا من قيادات حزب البعث العراقي، وهم أهم المطلوبين لديهم، وتم رصد مكافآت مالية كبيرة لمن يرشد عن أماكن وجودهم، وكان على رأس هذه القائمة الرئيس العراقي صدام حسين وكبار مساعديه، مثل طه ياسين رمضان، وعزة الدوري، وطارق عزيز، وعلي حسن المجيد، وبالفعل ألقت قوات الاحتلال القبض على البعض منهم خلال الشهور الأولى للاحتلال.

ولقد بدأت وتيرة العنف على استحياء مع بداية الغزو الأمريكي، ثم ما لبثت أن ازدادت بمعدلات كبيرة، حيث أصبح من المستحيل السيطرة عليها، وكان ذلك نتيجة طبيعية لعدم وجود قوات تحافظ على الأمن، وعدم وجود جيش عراقي؛ حيث تفككت جميع أجهزة الأمن العراقي بعد الاحتلال خوفًا من ملاحقة قوات الاحتلال لهم، مما جعل الوضع الأمني في العراق غاية في السوء، وتزايدت أعداد القتلى من أبناء الشعب العراقي، كما تزايدت أعمال النهب والسرقة والقتل العشوائي، وأصبح الفلتان الأمني هو الواقع المرير في العراق، مما جعل الشعب العراقي يعيش بين مطرقة الاحتلال الأنجلو أمريكي وما يفعله من قتل ونهب وتدمير، وسندان الفلتان الأمني.

إن من وضع خطة الحرب على العراق لم يضع في حسبانه أن العراق بلد له خصوصية يجب مراعاتها حتى في حالة الحرب، فهو يختلف عن باقي البلاد العربية من حيث تعدد واختلاف أطيافه ومعتقداته، والبلد العربي الوحيد الذي يتفق معه إلى حد ما في هذا الاختلاف هو لبنان الشقيق، فالشعب العراقي يتكون من ثلاث فئات رئيسية، إلى جانب بعض الفئات الصغيرة الأخرى، هذه الفئات الثلاثة هي الأكراد والسنة والشيعة، وكل فئة تختلف عن الأخرى من حيث معتقداتها، وعاداتها، وتقاليدها، وطريقة الحياة التي يتبعونها، كما أن كل فئة من هذه الفئات الثلاثة تتمركز في أماكن مختلفة عن بعضها، فالأكراد

موجودون في شمال العراق، والسنة في الوسط حيث العاصمة بغداد، أما الشيعة فموجودون في الجنوب، وهذا التقسيم لم يأتِ عن قصد أو تعمُّد، ولكنه أصبح هكذا بمرور السنين، بمحض الصدفة، وبطريقة تجمُّع المتشابهات مع بعضها لتصبح مركز قوة.

والحقيقة أن الشعب العراقي قبل الحرب لم يكن يشعر بهذا التقسيم؛ حيث كان يعيش تحت راية واحدة، وكان الجميع يتعاونون مع بعضهم من أجل رفعة العراق واستمرار وحدته، حتى لو كانت هناك طموحات لأي فئة عراقية في الانفصال أو الحكم الذاتي، فلم نكن نسمع عنها؛ لأنها كانت طموحات فردية تم احتواؤها، ولكن منذ قدوم الاحتلال الأنجلو أمريكي للعراق بدأت نار الفتنة تتأجج بين أطياف الشعب العراقي، وأصبح العراق في خضم فتنة طائفية يعلم الله وحده متى ستنتهي، حيث بدأت نزعة الأكراد في الانفصال بالشمال العراقي تطفو على سطح الأحداث، كما ظهرت أزمة حادة بين السنة والشيعة، فكل منهم أصبح يتهم الآخر بالتمييز العنصري، والتورط في ارتكاب أعمال تطهير عرقي، خاصة بعد زيادة أعداد القتلى من الجانبين، والعثور على جثث كثيرة في كافة الأحياء السنية والشيعية، إن المحتل الذي لم يراعِ خصوصية العراق كان يقصد ذلك؛ لأنه لم يأتِ العراق محررًا

كما ادَّعى، ولكن هدفه الرئيسي من وراء الاحتلال هو تحقيق مصالح اقتصادية وسياسية، هذه المصالح لن تتحقق إلا بـزرع بذور الفتنة الطائفية بين كافة فئات الشعب العراقي، الذي يجب أن يعي ذلك جيدًا حتى يقطع الطريق على المحتل الذي ينـهب ثرواته وكنوزه في ظل الانشغال بمشاكل الطائفية والعنصرية.

أما أول ما قامت به الإدارة الأمريكية بعد سقوط بغـداد، فكان تعيين حاكم مدني أمريكي للعراق، هو بول بريمر، وذلك إلى جانب القادة العسكريين، وقد بدأت الأوضاع الأمنيـة في العراق تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر، خاصة بعد ظهور النوايا الحقيقية للاحتلال، مع بدء توزيع عقود إعمـار العراق على الشركات الأمريكية، وبعض شركات الدول الـتي شاركت في الحرب، واشتدت المقاومة العراقية التي توعَّـدت جنود الاحتلال بمزيد من الخسائر، وكانت أكثر المدن العراقية مقاومة للاحتلال هي مدينة الفلوجة التي ظلت مستعصية على قوات الاحتلال، وشهدت مقاومة عنيفة وبسالة في القتال.

أما أول الأحداث التي وجدت فيها الولايات المتحدة فرصة لإثبات جديتها في الحرب على العراق أمام من أيدوها في هذه الحرب، وأنها جاءت للتحرير وليس للتخريب؛ فكان إعلانهـا عن قتل ولدي الرئيس العراقي قصي وعدي صدام حسين، في عملية تم التخطيط لها بعناية على حد قولهم، وقد حدث ذلـك

في يوليو ٢٠٠٣ في مدينة الموصل العراقية؛ أي بعد مرور أقل من أربعة أشهر على الحرب، وذلك حين قام أحد الأفراد بالإبلاغ عن مكان ولدي الرئيس، حيث تم رصد مكافأة مالية كبيرة لمن يرشد عن مكان وجودهما، وبعد تأكد جنود الاحتلال من مكان وجودهما، قاموا بتصفيتهما وكل من كانوا معهما، ثم قاموا بعرض صورهم على شاشات التلفزيون حتى يتأكد الجميع من صدق ما يقولون.

وقد لاقى نبأ مقتل عدي وقصي ولدي الرئيس صدام حسين ترحيبًا كبيرًا من جانب الدول التي شاركت في الحرب، وبدأ زعمائها يخرجون من جحورهم، ليعلنوا عن سعادتهم بهذا الخبر، ويعلنوا أنهم يسيرون على الطريق الصحيح، وذلك حتى يرفعوا من شعبيتهم التي كانت قد بدأت في الانخفاض؛ بسبب تزايد أعداد القتلى من جنود قوات التحالف دون تحقيق أي تقدم يذكر، أو العثور على أسلحة الدمار الشامل المزعومة.

أما عن رد فعل الشعب العراقي، فقد جاء متباينًا؛ حيث أعرب بعضهم عن ارتياحهم لمقتل ولدي الرئيس صدام، في حين أعرب آخرون عن أسفهم للطريقة التي تمت بها تصفيتهما، وطريقة عرض صورهما بعد قتلهما، أما أنصار الرئيس العراقي فقد أعلنوا عن شجبهم لمقتل ولديه، وقالوا إن ما حدث لن يمر بسلام، وتوعّدوا قوات الاحتلال بزيادة المقاومة العراقية ضدهم حتى إخراجهم من البلاد، أما الرئيس العراقي المخلوع صدام

حسين فقد قام بنعي ولديه في شريط فيديو وهو متماسك، وتوعَّد هو الآخر قوات الاحتلال بالاستمرار في قتالهم، وقال إن الحرب لم تضع أوزارها بعد، وإن نهاية الاحتلال باتت وشيكة.

وقد كان الرئيس العراقي يستخدم شرائط الفيديو التي يرسلها للقنوات الفضائية كوسيلة لحث المقاومة على الاستمرار في عملية الجهاد ضد قوات الاحتلال، وللتأكيد على أنه ما زال موجودًا داخل العراق، وأنه لن يخرج منها، وسيظل يواجه قوات الاحتلال حتى الموت.

بعد مقتل ولدي صدام في العراق زادت الأمور تعقيدًا؛ حيث اشتدت المقاومة العراقية عن ذي قبل، والتي لم تعد تقتصر على جنود الاحتلال فحسب، ولكنها امتدت لتصيب الذين يعاونون الاحتلال ويتعاملون معه، وفي نفس الوقت الذي بدأت فيه المقاومة تزداد ضد جنود الاحتلال وأعوانهم، ظهرت في العراق العديد من التنظيمات الإرهابية، والتي أعلن بعضها عن ارتباطهم بتنظيم القاعدة، والتي سُمِّيت فيما بعد باسم تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وقد أكد زعماء تنظيم القاعدة عن الارتباط الفعلي لهذه التنظيمات بتنظيم القاعدة، حيث أرسل أسامة بن لادن العديد من شرائط الفيديو التي يحث فيها العراقيين على عدم التعاون مع جنود الاحتلال، ويحث فيها

زعماء التنظيم في العراق على مواصلة الجهـــاد، والحقيقـــة أن تهديد هذه التنظيمات لم يكن موجَّهًا لقوات الاحتلال فقـــط، ولكنه امتد ليشمل كل الشعب العراقي بجميع أطيافه وفئاته.

وقد قامت الاستخبارات الأمريكيـــة بـــالتحقيق في هـــذا الموضوع، وأكدت على وجود صلة فعلية بين بعض الأفراد في العراق وزعماء تنظيم القاعدة في أفغانستان، وقالوا إن هـــؤلاء الأفراد قد دخلوا العراق قبل بدء الحرب بأيام قليلـــة، وأنهـــم جاءوا متسللين عبر الحدود العراقية مع الدول المجاورة.

وبدأ وطيس المعركة يزداد مع إعلان هذه التنظيمات عـــن نفسها؛ حيث زادت أعداد القتلى في جانب الشعب العراقـــي، وأصبحت أشلاء جثث العراقيين تتناثر في كل مكان بـــسبب العمليات الانتحارية التي يقوم بها الأفراد الـــذين تقـــوم هـــذه المنظمات بتجنيدهم للعمل معها، بعد إقناعهم بأن ما يقومـــون به هو من أجل إخراج الاحتلال مدحورًا مذمومًا، وللحفـــاظ على وحدة العراق، والمنظمات الإرهابية في العـــراق لم تتـــرك وسيلة من وسائل إرهاب الشعب العراقـــي إلا واســـتخدمتها، ابتدءًا بعمليات القتل العشوائي، واختطاف الأفراد وقتلهم بعد تعذيبهم، حتى استخدام الأحزمة الناسفة والعربات المفخخة التي يتم تفجيرها وسط التجمعات الكبيرة من المدنيين.

وكالعادة، فإن الإدارة الأمريكية لم يَفُتْها مثل هذا الحدث، حيث قامت بخلط الحابل بالنابل، وربطت بين المقاومة الشريفة ضد جنود الاحتلال وبين الأعمال الإرهابية التي تستهدف المدنيين العراقيين، أو غيرهم من الأجانب الذين يعيشون على أرض العراق، وذلك حتى تستطيع تبرير الأعمال الإجرامية التي تقوم بها، من قتل للمدنيين، واعتقالهم بحجة الانضمام لمنظمات إرهابية والتعاون معها.

لم يكن يتصور أحد ما وصل إليه العراق خلال الشهور الأولى للحرب، حيث تم تدمير معظم البنية التحتية، وتَرَدَّت الأوضاع الاقتصادية أكثر مما كانت عليه، حيث تم إيقاف برنامج النفط مقابل الغذاء الذي كانت الأمم المتحدة تشرف عليه منذ حرب الخليج الثانية، كما أصبحت حالة الشارع العراقي غاية في السوء؛ بسبب زيادة نسب البطالة والفقر، وانقطاع الكهرباء والمياه عن العديد من المدن العراقية، وصارت أبسط مقوِّمات الحياة غير متوفرة للشعب العراقي، وبالإضافة إلى كل هذا.. تَرَدَّت الأوضاع الأمنية، وأصبحت أسوأ مما كانت عليه.

ولقد بدأت الأصوات الشريفة في العالم تدعو لضرورة الإسراع في إنهاء الاحتلال الانجلو أمريكي للعراق، ولكن دون جدوى، خاصة بعد عدم العثور على أسلحة الدمار الشامل

المزعومة، والتي كانت السبب الرئيسي الذي ادّعت الولايات المتحدة أنها تخوض الحرب من أجله، ولهذا فقد كان من الضروري أن تعمل الولايات المتحدة على إسكات هذه الأصوات التي تدعو لإنهاء الاحتلال وعودة الجنود المشاركين في الحرب من هناك، وكان الطريق الوحيد لذلك هو العثور على أسلحة الدمار الشامل المزعومة، أو العثور على الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين، ولما كان الاحتمال الأول غاية في الصعوبة؛ بسبب معرفتهم بعدم صدقه من الأساس، فقد كثّفت قوات الاحتلال جهودها لإلقاء القبض على الرئيس العراقي، وظلت تذكّر الجميع بالمكافأة المالية الكبيرة التي رصدتها لمن يدلي بمعلومات تساعد في القبض عليه.

وحدثت المعجزة التي تمنّتها الإدارة الأمريكية، حين أعلن الحاكم المدني الأمريكي في العراق بول بريمر عن تمكُّن القوات الأمريكية من إلقاء القبض على الرئيس العراقي صدام حسين في ١٤ ديسمبر ٢٠٠٣؛ أي بعد مرور أقل من تسعة أشهر على بدء الحرب الأنجلو أمريكية على العراق، حيث قام بول بريمر بعقد مؤتمر صحفي مع الجنرال ريكاردو سانشيز القائد الميداني للقوات الأمريكية في العراق، وأعلن أمام الجميع أنه تم إلقاء القبض على الرئيس العراقي المخلوع في فجر يوم ١٢ ديسمبر، في عملية أطلق عليها اسم الفجر الأحمر، تمت دون إطلاق رصاصة واحدة، بالقرب من مدينة تكريت مسقط رأسه؛

حيث كان يختبئ في حفرة تحت الأرض، وكان معه اثنان مرافقان له فقط، وقال أيضًا إن التحليل المبدئي للحامض النووي أكد أنه الرئيس العراقي صدام حسين.

وقد جاء إعلان بريمر عن نبأ اعتقال الرئيس العراقي صدام حسين بطريقة درامية على نهج الطريقة الأمريكية؛ حيث بدأ المؤتمر الذي عقده مع صحفيين من كافة أنحاء العالم بقوله: أيها السيدات والسادة، لقد قبضنا عليه، وهذا يوم عظيم في تاريخ العراق... وظل بعد ذلك يردد العبارات الرنَّانة، ثم قام بعرض صور الرئيس العراقي لحظة اعتقاله على الصحفيين، والتي ظهر فيها صدام أشعث الرأس، وشاحب الوجه، وتغلب عليه حالة من الإجهاد والإعياء الشديدين، وقد بدا مستسلمًا لما يقوم به أحد الجنود عند فحصه لأخذ عينة الحامض النووي من فمه، ولم يصدق الصحفيين ما رأوه، ولكنها كانت الحقيقة التي تؤكدها الصور التي أمامهم، وبعد عرض الصور تعالت هتافات الصحفيين العراقيين في سعادة بضرورة الموت لصدام، كما أعرب غالبية الشعب العراقي عن سعادتهم بنبأ اعتقال صدام، وخرجوا في مسيرات حاشدة للتظاهر في الشوارع، أما الموالين للرئيس العراقي فقد نددوا باعتقاله، وأعلنوا عن ضرورة الثأر للرئيس من قوات الاحتلال.

ولقد توالت ردود الفعل العالمية بعد الإعلان عن نبأ اعتقال الرئيس العراقي صدام حسين بطرق متباينة، يربطها عامل مشترك واحد هو الدهشة، فقد رحَّبت الدول الأوربية كلها بنبأ الاعتقال، وأعربوا عن سعادتهم للتخلص من السديكتاتور العراقي، وأشادوا بسرعة القوات الأمريكية في القبض عليه حيًّا، أما الدول العربية والإسلامية، فقد جاء رد فعلها بطريقة مختلفة؛ حيث أعلنت الدول التي لها خلافات عميقة مع صدام حسين - مثل الكويت وإيران - عن ترحيبها الكامل بنبأ الاعتقال، وهناك بعض الدول التي التزمت الصمت و لم تأتِ بأي رد فعل مباشر على الواقعة، أما أغلبية الدول العربية فقد اتَّبعت طريق الدبلوماسية، وهو الطريق الأمثل في مثل هذه المواقف؛ حيث تحدثت عن ضرورة طي صفحة الماضي، والنظر لمستقبل العراق دون أي شيء آخر، أما الشعب الفلسطيني، والذي تربطه بالرئيس العراقي علاقة خاصة؛ حيث كان يعلن دائمًا أن إسرائيل هي العدو الأول للعرب، وأنه مستعد للدخول في حرب معها، وأنه يؤيد الانتفاضة الفلسطينية بشكل كامل، وأنه مستعد لإرسال جنود عراقيين للمشاركة فيها؛ فقد أعرب عن أسفه ودهشته لمشهد اعتقال الرئيس العراقي صدام حسين، الذي بدا فيه كالحمل الوديع، لا يعترض على أي شيء.

وقد بدأ المشاركين في الحرب على العراق في الإعلان عن أنفسهم والظهور من جديد بعد إعلان نبأ اعتقال الرئيس العراقي؛ ليؤكدوا استمرار دعمهم للحرب في العراق، بالرغم من المعارضة الشعبية العالمية التي يواجهونها؛ حيث أعلن كل من توني بلير رئيس وزراء بريطانيا، وخوسيه ماريا آزنار رئيس وزراء إسبانيا، وسلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا، وجون هوارد رئيس وزراء أستراليا - عن ترحيبهم وسعادتهم بنبأ اعتقال الرئيس المخلوع صدام حسين، وأن ذلك يؤكد على أنهم ماضون في الطريق الصحيح، وأكدوا على ضرورة استمرارهم في هذه الحرب التي تعني الكثير بالنسبة للعالم أجمع؛ لأنها انتصار للحرية والديمقراطية في العالم.

أما كبيرهم الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، فقد كان أكثرهم سعادة وغبطة؛ لأنه حصل على مراده بإلقاء القبض على الرئيس العراقي صدام حسين، وذلك لأن شعبية الرئيس الأمريكي كانت قد بدأت في الانخفاض بشكل كبير؛ بسبب عدم حدوث أي تقدم في الحرب على العراق وأفغانستان، وكان السبيل الوحيد لرفع شعبيته مرة أخري هو حدوث معجزة تنقذه من ورطة الحرب على العراق، والتي بدأ العالم يتكشَّف كذب ادعاءات الرئيس بوش بشأنها مع مرور الوقت، خاصة بعد عدم العثور على أسلحة الدمار الشامل المزعومة، وقد جاء رد فعل الرئيس الأمريكي متأخرًا بعض الوقت، وكأنه

لا يعبأ بما حدث؛ حيث توالت تصريحات العديد من أعضاء إداراته قبل أن يدلي هو بتصريحاته، والتي أكد فيها على أن العراق تخلّص وإلى الأبد من حكم الديكتاتور الظالم صدام حسين، وبدأ عهد جديد من الديمقراطية، والسبب الرئيسي في تأخُّر تصريحات الرئيس بوش هو أنه كان يستمتع برد الفعل العالمي، والتهاني التي بدأت تنهال عليه، خاصة ترحيب الدول التي عارضت الحرب على العراق، فقد أراد أن يثبت لنفسه أنه فعل الصواب بإعلانه الحرب على العراق.

أما المحللين السياسيين، فقد بدءوا هم الآخرين في الإدلاء بآرائهم حول نبأ اعتقال الرئيس العراقي، وما سيترتب عليه؛ حيث اعتقد أغلب المحللين أن الوضع الأمني في العراق سوف يزداد سوءًا بعد اعتقال الرئيس العراقي؛ لأن أنصاره والمؤيدين له سوف يشتد نشاطهم في المقاومة، لأنهم تأكدوا من أنه لم يخن الشعب العراقي، وظل في العراق بالرغم من إمكانية خروجه من البلاد قبل الحرب، حيث كانت الفرصة مواتية أمامه، ولكنه فضّل البقاء عن الهروب، كما أن المقاومة العراقية سوف تزداد هي الأخرى؛ لأن استمرار الاحتلال بعد العثور على الرئيس العراقي، وعدم العثور على أسلحة الدمار الشامل، لن يكون له فائدة، بل سيزيد الوضع سوءًا.

وبعد هدوء الأوضاع نسبيًّا بدأت الحقيقة تتكشف شيئًا فشيئًا، حيث بدأت وسائل الإعلام العالمية تتناقل خبر كذب الادعاءات الأمريكية حول موعد إلقاء القبض على الرئيس

العراقي صدام حسين، حيث ظهر في الصور التي قامت قوات الاحتلال بنشرها للرئيس العراقي لحظة إلقاء القبض عليه وإخراجه من الحفرة التي كان يختبئ فيها - كما زعموا - النخل العراقي وهو يتدلى منه البلح الأصفر، وهو ما أكد خبراء الزراعة أنه أمر لا يمكن أن يعقل وشبه مستحيل؛ لأن شهر أكتوبر هو آخر موعد لجني البلح في العراق، أما شهر ديسمبر فيستعد فيه النخل لموسم الإثمار الجديد، والصور كانت تثبت عكس ذلك، حيث كان البلح في وضع الجني وليس الإثمار، كما أن صحيفة أمريكية قامت بنشر صورة للرئيس العراقي لحظة إلقاء القبض عليه، وهو ممدد على الأرض ويبدو أنه مخدَّر، مما دعا الكثير من المحللين السياسيين للتأكيد على أن الرئيس العراقي يمكن أن يكون قد تم القبض عليه قبل شهرين من نبأ إعلان اعتقاله، وأن الإدارة الأمريكية ربما تكون قد أجَّلت نبأ الاعتقال لحين التحقيق معه، في محاولة يائسة منها لمعرفة ما إذا كانت هناك أسلحة دمار شامل في العراق أم لا.

وهناك عدة قرائن أخرى يمكن أن تؤكد كذب الإدارة الأمريكية في الإعلان عن موعد اعتقال الرئيس العراقي، أولها أن الرئيس الأمريكي بوش قام بزيارة المملكة المتحدة، واجتمع مع حليفه الأول توني بلير يوم ١٨ نوفمبر ٢٠٠٣، وسط إجراءات أمنية مشددة، وربما كان ذلك للاتفاق حول مصير الرئيس العراقي، وهل ستتم محاكمته في الولايات المتحدة أم في العراق، وهل ستكون المحكمة أمريكية أم عراقية، وهل سيتم

الإعلان عن نبأ الاعتقال في العراق أم في الولايات المتحدة.
وثاني القرائن.. أن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن قام بزيارة مفاجئة للعراق يوم ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٣؛ أي قبل الإعلان عن نبأ الاعتقال بحوالي أسبوعين، بحجة الاحتفال مع الجنود الأمريكيين بعيد الشكر لرفع روحهم المعنوية، ولكن هذه الزيارة كانت بالتأكيد لتنسيق الوضع مع بول بريمر الحاكم المدني الأمريكي في العراق، وريكاردو سانشيز القائد الميداني للقوات الأمريكية في العراق، بخصوص الطريقة التي سيتم بها الإعلان عن نبأ الاعتقال.

وقد اعتبر البنتاجون الأمريكي الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين أسير حرب في ١. يناير ٢٠٠٤، وذلك بعد ضغوط منظمات حقوق الإنسان على الولايات المتحدة؛ حيث كانت تريد هذه المنظمات ضمان بقاء الرئيس العراقي على قيد الحياة، وعدم تعرضه لأذى نفسي أو جسدي، ومعاملته بشكل جيد، ورغم ذلك فقد واجهت المنظمات المعنية بحقوق الإنسان صعوبة بالغة حتى تتمكن من رؤية الرئيس العراقي للاطمئنان عليه.

والسبب في إعلان الولايات المتحدة الرئيس العراقي أسير حرب، هو أنها أرادت أن يظل الرئيس العراقي تحت قبضة القوات الأمريكية في العراق؛ لأنها تعلم أنه إذا تم تسليمه للحكومة العراقية فإنهم سوف يقومون بتعذيبه أو قتله ولو

حدث ذلك في بداية إعلان القبض عليه. فإن ذلك سوف يضر بالمصالح الأمريكية؛ لأنها سوف تخسر التأييد العالمي الذي وجدته من حلفائها ومعارضيها في قرار الحرب عقب إعلان القبض على الرئيس العراقي.

أهم الأسباب التي دعت الإدارة الأمريكية لتأجيل موعد إعلان القبض على الرئيس العراقي المخلوع:

١- أن الانتخابات الأمريكية كانت ستبدأ حملة الدعاية لها مع بداية عام ٢٠٠٤، وكان الرئيس الأمريكي يريد أن يرفع من شعبيته أمام الناخب الأمريكي مع بداية حملته بعد انخفاض شعبيته بشكل كبير، ولم يكن أمامه إلا تأجيل الإعلان عن موعد إعلان القبض على الرئيس العراقي المخلوع؛ حتى يجد ذلك صدى عند الناخبين فيقومون باختياره؛ لأنه في حالة الإعلان المبكر عن القبض على الرئيس العراقي فإن تأثيره على الناخب الأمريكي كان سيتلاشى قبل الإعلان عن بدء حملة الانتخابات الرئاسية الأمريكية، بسبب استمرار تردِّي الأوضاع الأمنية في العراق، وعدم العثور على أسلحة الدمار الشامل، وزيادة أعداد القتلى والمصابين في صفوف القوات الأمريكية في العراق.

٢- رغبة الإدارة الأمريكية في إجراء تحقيقات منفصلة مع الرئيس العراقي لضمان عدم تدخل أي جهات أخرى فيها، مثل السلطات العراقية، أو المنظمات الحقوقية، فالإدارة

الأمريكية كانت تريد معرفة الكثير من المعلومات من الرئيس العراقي بخصوص أسلحة الدمار الشامل، وهل هي موجودة أم لا، كما كانت تريد معرفة علاقة الرئيس العراقي بعناصر المقاومة، وأماكن تواجدهم، وطرق حصولهم على الأسلحة، ولهذا فقد كلفت مكتب التحقيق الفيدرالي بالتحقيق معه لمعرفة كافة المعلومات التي يمكنها الاستفادة منها خلال حربها على العراق.

٣- أن الإدارة الأمريكية أرادت أن تباعد بين موعد إلقاء القبض على الرئيس العراقي وموعد الإعلان عن مقتل ولديه عدي وقصي؛ حتى لا تقوم بتأليب أنصار الرئيس العراقي الذين يكنون له الولاء، فتكون لهم ردة فعل انتقامية كبيرة؛ لأن تأخر انتقام الرئيس العراقي لمقتل ولديه هدّأ نسبيًّا من المقاومة في هذا الاتجاه؛ لأنه كان من الأولى أن يقوم هو بالانتقام.

والحقيقة أن الهدوء الذي تمنته الإدارة الأمريكية عقب الإعلان عن إلقاء القبض على الرئيس العراقي المخلوع كان هدوء ما قبل العاصفة؛ حيث زادت المقاومة وأصبحت أكثر شراسة عن ذي قبل، وزادت الخسائر الأمريكية يومًا بعد آخر؛ لأن المقاومين العراقيين أرادوا إنهاء الاحتلال من الأراضي العراقية، و لم يعد يهمهم أمر الرئيس العراقي؛ لأنه أصبح ماضيًا لن يعود، وعلى الرغم من استخدام قوات الاحتلال كافة

الوسائل المشروعة وغير المشروعة في الحرب، إلا أنها لم تستطع القضاء على المقاومة؛ لأن المقاومة هي الطريق الوحيد لاسترداد العراق من أيدي مغتصبيه.

وفي نفس الوقت الذي كانت تزداد فيه الخسائر الأمريكية المادية والبشرية، نجد أن الخسائر في الشارع العراقي كانت تزداد هي الأخرى، ولكن بمئات الأضعاف، وذلك نتيجة تدهور الأوضاع الأمنية، وعدم وجود قوات شرطة أو جيش مدرَّبة، وزيادة أعمال القتل العشوائي، وانتشار الأسلحة الخفيفة التي تباع بأزهد الأثمان، بالإضافة لقتل جنود الاحتلال عشرات المدنيين العراقيين يوميًّا دون أسباب واضحة، فالقتل عندهم كان لمجرد القتل، وأصبح العراق بلدًا للنعوش، وأكثر الأشياء التي وجدت رواجًا في البيع هي الأكفان، وعرف الحزن طريقه لكل بيوت العراق، إن لم يكن لفراق أب أو أم أو زوج أو زوجة أو ابن أو ابنة أو حبيب، فكان لضياع الوطن ووقوعه في أيدي قوات الاحتلال، التي لم تعبأ يومًا بحال الشارع العراقي وما يحدث فيه.

وقبل الإعلان عن نبأ اعتقال الرئيس العراقي صدام حسين بأيام قليلة، أعلن الرئيس الأمريكي أن عقود إعمار العراق سوف تقتصر على الدول التي شاركت في الحرب فقط؛ لأن هذه الدول ضحَّت بالكثير من أبنائها من أجل تحرير العراق -

على حد قول الرئيس بوش، ولذلك فهي أحق وأولى من الدول التي لم تتكبَّد أي خسائر مادية أو بشرية، وقد لاقى هذا الإعلان معارضة عالمية واسعة من جانب العديد من الدول التي لم تشارك في الحرب.

وهذا الإعلان إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الإدارة الأمريكية كانت لها أهداف خفية من وراء حربها على العراق، فالرئيس بوش قرر تقسيم كعكة العراق على الدول التي شاركت في ذبحه وتدميره فقط، حيث كان لزامًا على الجميع أن يقول للرئيس الأمريكي (آمين) من البداية، حتى يتمكن من الاشتراك في الوليمة التي انقضت عليها الولايات المتحدة، وألقتها صريعة وسط دمائها تعاني سكرات الموت وحدها، وإلا فإنه ليس من حق أحد أن يشارك في الغنائم.

كما أن الإعلان عن هذا الخبر قبل الإعلان عن إلقاء القبض على الرئيس العراقي مباشرة يؤكد صحة كذب الإدارة الأمريكية في تأجيل موعد إعلان القبض عليه، وذلك حتى لا تستطيع الدول التي رفضت المشاركة في الحرب على العراق من المطالبة بحقوقها في عقود الإعمار؛ لأن نبأ الاعتقال غطى على كل الأحداث، فاختيار وقت الإعلان عن عقود الإعمار كان موفقًا من جانب الولايات المتحدة.

الأكاذيب الأمريكية

عن أسلحة

الدمار العراقية



أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية قبل حربها على العراق أن السبب الرئيسي وراء قيامها بهذه الحرب هو امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل مما يهدد الأمن العالمي، وقد تم الكشف عن كذب هذه الادعاءات خلال العام الأول للحرب؛ فالجميع يعلم أن الرئيس العراقي صدام حسين قام بفتح القصور الرئاسية يوم ١٣ أكتوبر ٢٠٠٢ أمام مفتشي الأمم المتحدة المختصِّين بالبحث عن أسلحة الدمار الشامل، برئاسة هانز بليكس الذي دخل العراق مع فريق كامل من المفتشين، وتم فتح جميع المواقع أمامهم، دون الاعتراض بأي شكل من الأشكال على طريقة عملهم، أو الأماكن التي يذهبون للبحث فيها، وذلك بعد ترويج الولايات المتحدة الأمريكية لامتلاك العراق أسلحة دمار شامل متطورة.

وقد أكدت كل التقارير التي أصدرها هذا الفريق منذ وصوله للعراق على عدم وجود أي نشاط نووي في العراق، ولكن غطرسة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن جعلته لا يعبأ بكل هذه التقارير، ويعلن أن الولايات المتحدة سوف تشن حربًا على العراق بسبب امتلاكه أسلحة دمار شامل، وذلك قبل صدور التقرير النهائي لفريق التفتيش الدولي، ليس هذا فحسب، بل ضغطت الولايات المتحدة على الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان حتى يقوم بسحب فريق التفتيش قبل

الحرب، وقد حدث هذا بالفعل، حيث سحبت الأمم المتحـــدة مفتشيها من العراق يوم ١٧ مارس ٢٠٠٣؛ أي قبـــل موعـــد الحرب الأمريكية على العراق بثلاثة أيام فقط.

ولقد بدأ الكشف عـــن كـــذب الادعـــاءات الأمريكيـــة والبريطانية بشأن وجود أسلحة الدمار الشامل في العراق بعـــد انتحار ديفيد كيلي في يوليو ٢٠٠٣، والذي كـــان مـــسئولًا بشكل كبير عن اشتراك بلاده في الحرب على العراق، حيث أنه أكد للحكومة البريطانية أن صدام حسين يمكنه أن يجعل أسلحة الدمار الشامل جاهزة للانطلاق في غضون ٤٥ دقيقة فقـــط، وقد اعتبر صدام حسين تهديدًا مباشرًا، وذكر أنه خطر علـــى كل من إسرائيل وإيران، ولكنه قال إنه لا يعرف الشكل الذي يستطيع به صدام نشر أسلحته.

لكن بعد انتحار ديفيد كيلي بقطع وريده الأيسر، وتعاطيه كمية كبيرة من الحبوب داخل عربتـــه، كـــشفت الحكومـــة البريطانية أنه مصدر تقرير جيلجان، والذي ذكر فيه صـــحفي البي بي سي آندرو جيلجان أن الحكومة البريطانية بالغـــت في ملف أسلحة الدمار الشامل العراقية، وذلك بناءً علـــى أقـــوال كيلي له، حيث أكد كيلي له أن صدام حسين لا زالت لديـــه القدرة على تطوير أسلحة الدمار الشامل، ولكنـــه لا يـــشكل تهديدًا كبيرًا، وأن العراق قد انخفضت قدرته على تطوير أسلحة

الدمار الشامل منذ عام ١٩٩٠، كما ذكر كيلي أيضًا أن كل الأدلة التي قرأها توني بلير لإقناع مجلس الشيوخ البريطاني بضرورة الحرب على العراق كانت ملفقة وكاذبة.

ولقد أثيرت العديد من الشكوك حول مقتل ديفيد كيلي، ولهذا قامت الحكومة البريطانية بتعيين اللورد براين هانون رئيسًا للجنة التحقيق الخاصة بوفاة كيلي، والذي أكدت تحقيقاته أنه لا توجد شبه جنائية في وفاة كيلي، وأنه انتحر؛ لأن الحكومة البريطانية خيبت أمله عندما أخبرته أن اسمه سوف يعلن عنه كأحد المسئولين عن حرب العراق، كما أن فقدانه احترامه لذاته، مع احتمال فقدانه لوظيفته أدى به إلى الانتحار، وقد أعرب رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عن سعادته بعد سماعه رأي لجنة التحقيق، خاصة لإعلانها عدم صحة الاتهامات بتعمُّد المبالغة بشأن أسلحة الدمار العراقية.

وفي ٢٢ يناير اعترف المعهد البريطاني للدراسات الإستراتيجية في لندن بخطأ تقديراته بخصوص قدرة النظام العراقي السابق على إنتاج وتطوير أسلحة الدمار الشامل، وهذا الاعتراف كان غاية في الأهمية؛ لأنه أثبت صدق رواية ديفيد كيلي بخصوص انخفاض قدرة العراق على تطوير أسلحة الدمار الشامل منذ عام ١٩٩٠.

أما الجانب الأمريكي، فقد بدأت حقيقة الأمر تظهر عندما صرح بول أونيل وزير المالية السابق - الذي قدم استقالته في ديسمبر ٢٠٠٢ - بأن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن كان ينوي غزو العراق منذ بداية توليه السلطة، ولكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر غيرت مسار الحرب إلى أفغانستان، وقد كشف بول أونيل في بداية عام ٢٠٠٤ عن وثيقة سرية، جاء فيها أن بوش كان يبحث عن عذر منذ وصوله البيت الأبيض للإطاحة بنظام الرئيس العراقي صدام حسين.

وقد ذكر أونيل في كتابه (ثمن الولاء) أنه لم يكن هناك أي دليل على امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، ولكن بوش اتخذها عذرًا لإعلان الحرب على العراق، وقال إن بوش كان كالأعمى في غرفة مليئة بالصم، ولأن المصائب لا تأتي فرادى؛ فقد قام ديفيد كاي كبير المفتشين الأمريكيين عن أسلحة الدمار الشامل في العراق بتقديم استقالته في يناير ٢٠٠٤، وصرَّح أنه لا يعتقد بوجود أسلحة للدمار الشامل في العراق، وقد تم تعيين ديفلر بدلًا منه لرئاسة المفتشين الأمريكيين في العراق، وفي اليوم التالي لاستقالة كاي صرَّح وزير الخارجية الأمريكي كولن باول بأنه قد لا توجد أسلحة دمار شامل في العراق، ثم بدأت تصريحاته تتوالى بعد ذلك ليغطي على الكارثة التي يمكن أن تتسبب في الإطاحة بإدارة الرئيس الأمريكي بوش، والتي أكد فيها على أن نية العراق - فقط - على إنتاج أسلحة

الدمار الشامل كانت كافية لشن الحرب عليه، مما يؤكد أن الإدارة الأمريكية في حربها على العراق لم تأخذ بالأسباب والأدلة والبراهين، ولكنها استخدمت المنجِّمين والعرافين، وأخذت برأي الطالع، الذي حثَّها على ضرورة إعلان الحرب على العراق؛ لنيته المبيتة في تطوير أسلحة للدمار الشامل، وهو ما يهدد أمن أمريكا في المستقبل البعيد.

وبعد توالي الفضائح الأمريكية بخصوص كذب ادعائها حول وجود أسلحة دمار شامل في العراق، أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في أوائل فبراير ٢٠٠٤ أنه سيقوم بتشكيل لجنة مستقلة من الحزبين الجمهوري والديمقراطي للتحقيق في تقارير الاستخبارات الأمريكية الخاصة بامتلاك العراق أسلحة دمار شامل، وكذلك فعلت كل من بريطانيا وأستراليا - الحليفين الأكثر تأييدًا للولايات المتحدة في العالم.

إن تشكيل الرئيس الأمريكي للجنة مستقلة من الحزبين الجمهوري والديمقراطي يعد دليلًا واضحًا على خوفه وقلقه من رد فعل الشعب الأمريكي من عدم وجود أسلحة دمار شامل في العراق؛ لأن الحرب الأمريكية على العراق خلال هذه الفترة القصيرة التي لم تتعدَّ العام الواحد كانت قد كلَّفت الولايات المتحدة خسائر مادية وبشرية كبيرة، ومما كان يثير قلق الرئيس الأمريكي أيضًا بدء سباق الانتخابات الأمريكية التي تستمر عامًا كاملًا، يستعد خلالها كل من الحزبين الجمهوري

والديمقراطي لاختيار مرشح من بين عدة مرشحين لتمثيل الحزب ومنافسة الحزب الآخر، وقلق الرئيس بوش كان نابعًا من خوفه من إعلان حزبه الجمهوري الاستغناء عن خدماته قبل أن يعلنها الشعب الأمريكي؛ لأنه في حال حدوث ذلك فستكون هزيمة أكبر من إعلان فشله في الحرب على العراق؛ لأن الطعنة هذه المرة ستكون من الداخل، وهو الأمر الذي تفاداه بوش بإعلانه تشكيل لجنة مستقلة للتحقيق في تقارير الاستخبارات الأمريكية الخاصة بامتلاك العراق أسلحة للدمار الشامل؛ لأنه كان يعلم جيدًا أنه لن يتحمل أي مسئولية؛ لأنه لم يشارك في وضع هذه التقارير، ولكنه اتخذ قرار الحرب بناءً على ما وُجِد فيها فقط.

ومما زاد الطين بلة في فضيحة أسلحة الدمار العراقية، إعلان وزيرة التنمية الدولية البريطانية كلير شورت في فبراير ٢٠٠٤، أن المخابرات البريطانية كانت تتجسس على الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان وتسجل اتصالاته، قبل بدء الحرب على العراق، وعقب ذلك أعلن هانز بليكس رئيس المفتشين عن أسلحة الدمار الشامل قبل الحرب على العراق، أن أربع دول كانت تتجسس عليه، مما يؤكد أن الولايات المتحدة وبريطانيا كانتا على علم بخلوِّ العراق من أسلحة الدمار الشامل قبل بدء الحرب عليها؛ لأن هذا ما أكَّدته فرق التحقيق الدولية برئاسة هانز بليكس في كل التقارير التي سلَّمتها للأمين العام للأمم المتحدة قبل الحرب.

وقد جاءت نهاية ملف أسلحة الدمار الشامل في العراق عقب إعلان كبير المفتشين الأمريكيين عن أسلحة الدمار الشامل ديفلر في أكتوبر ٢٠٠٤ عن تقريره الأخير، والذي أكّد فيه أنه لا توجد أسلحة دمار شامل في العراق، وأن العراق أنهى البرنامج النووي عام ١٩٩١، وأن صدام حسين لم تكن لديه النية في امتلاكها مرة أخرى.

وهذا التقرير يؤكد شيئين.. الأول: هو كذب الادعاءات الأمريكية بشان امتلاك العراق أسلحة دمار شامل، والثاني: هو اعتماد الولايات المتحدة على الأخذ بالنوايا وليس بالأسباب والقرائن.

وعلى الرغم من الكشف عن أكاذيب وادعاءات الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، إلا أنه ظل يروّج لهذه الأكاذيب طوال فترة رئاسته؛ حيث أعلن في الذكرى الأولى للحرب على العراق أن الحرب الأمريكية على الإرهاب تستهدف أولًا حماية الأمريكيين، ثم إرساء قيم العدالة في العالم، ولا أعرف أية عدالة يتحدث عنها الرئيس بوش، هل هي قتل الأبرياء واغتصاب حقوقهم والاعتداء على الدول الأخرى بغير وجه حق؟ أم هي المساواة بين الناس وتحقيق الديمقراطية؟ فالرئيس بوش كان يجب أن يوضح لنا مفهوم العدالة التي يتحدث عنها؛ لأن المفاهيم اختلطت علينا، ولم نعد نستطيع أن نفرق بين الحق والباطل،

والخير والشر، وبين الصديق والعدو، فلقد تغيرت أمور كثيرة بسبب الحرب الأمريكية المزعومة على الإرهاب؛ حتى معنى الإرهاب نفسه، والذي يستطيع أي إنسان عاقل أن يميز بينه وبين الدفاع عن النفس، لم يعد معناه واضحًا في أذهان الكثيرين، الذين غررت الولايات المتحدة بأحلامهم وطموحهم في تحقيق العدالة الاجتماعية ونشر ثقافة السلام.

لقد أثبت لنا الرئيس الأمريكي جورج بوش أنه كبير السفسطائيين ومعلمهم الأول في العالم، حيث اعتمد على تغيير المفاهيم والتلاعب بالألفاظ في خداع العالم، واستقطاب بعض قادة الدول الأخرى للتحالف معه في حربه المزعومة على الإرهاب، والتي ظل يؤكد للعالم أجمع أنها حرب مقدسة، وأنها حرب قوى الخير ضد قوى الشر، والحقيقة أن هذه الحرب كانت حربًا ثأرية بالنسبة له، وليست لحماية الشعب الأمريكي كما يزعم، والرئيس بوش ظل مصرًّا على أنه قدَّم خيرًا للعالم أجمع بحربه على العراق، بالرغم من عدم العثور على أسلحة الدمار الشامل، وذلك لأنه قضى على نظام الحكم الديكتاتوري لصدام حسين؛ فإسقاط نظام الرئيس العراقي صدام حسين من وجهة نظر الرئيس بوش هو أفضل ما قام به في حياته على الإطلاق؛ لأنه خلَّص العالم من تهديد صدام حسين، والذي يعتبره أخطر رجل في العالم، حتى لو كان الأمر قد كلفه القضاء على بلد بأكمله، بتشتيت أوصاله وإرهاب شعبه.

لكن هل كانت الحرب على العراق هي الطريق الوحيد أمام الولايات المتحدة لإدخال العراق الحظيرة الدولية كما ادَّعــت؟ أعتقد أن الإجابة ستكون بالنفي؛ لأن الولايات المتحدة قامت بخداع العالم أجمع بشنها هذه الحرب، حتى أنه في حالة وجـود أسلحة دمار شامل في العراق، فلمـاذا لم تـستخدم الطـرق الدبلوماسية؟ خاصة وأن العراق كان يبدي اسـتعدادًا كـبيرًا للتفاهم مع القوى العالمية، وقام بفتح جميع المواقع أمام فريـق المفتشين التابع للأمم المتحدة، وذلك قبل إعلان الحرب عليـه بعدة أشهر، كل هذا في نفس الوقت الذي أبدت فيه الولايات المتحدة استعدادًا للتفاهم مع كوريا الشمالية، بالتوصـل لحـل دبلوماسي للبرنامج النووي لها، وهو برنامج معلن عنه وعـن أهدافه الحربية منذ البداية، ولهذا كان الأولى بالولايات المتحدة أن تقوم بإعلان الحرب على كوريا الشمالية بدلًا من العـراق؛ لأنها طورت برنامجها النووي اللاسلمي أمام أعين العالم أجمـع، كما أنها إحدى دول محاور الشر مثل العراق - من وجهة النظر الأمريكية، ولكن هذا لم يحدث؛ لأن الولايات المتحدة كانـت تخشى من استخدام كوريا الشمالية للأسلحة النووية في حالـة إعلانها للحرب معها، حيث إن كوريا الشمالية لم تكـن قـد أعلنت - وقت الحرب على العراق - عن مدى ما وصلت إليه من تطور في برنامجها النووي، وهذا يدل على شـيء واحـد

فقط، وهو أن العالم الذي نعيش فيه يحكمه قانون الغاب الذي يأكل فيه القوي الضعيف، في حين يحذر ويخاف من الذي يضاهيه في القوة.

إن سياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية تتبع المصالح والمكاسب الشخصية التي ستحققها من وراء اتباع هذه السياسة، فهي تتعامل مع قضية واحدة بمنطقين مختلفين؛ لكي تحقق مصالحها الخاصة، فإذا رأت الولايات المتحدة أن حربها على العراق سوف تعود عليها بالنفع، فلا ضرر من إعلان الحرب عليها، أما إذا رأت أنه في حالة إعلان الحرب على كوريا الشمالية فإن ذلك لن يعود عليها بشيء؛ لأن كوريا الشمالية لا تمتلك ثروات العراق، فلا تكون هناك ضرورة لإعلان الحرب عليها؛ لأن هناك طرقًا أخرى دبلوماسية يمكن استخدامها معها.

أسباب تبنِّي الولايات المتحدة لسياسة المعايير المزدوجة والكيل بمكيالين:

١- تحقيق مصالح اقتصادية ومادية:

وهو السبب الرئيسي وراء اتباع الولايات المتحدة لسياسة المعايير المزدوجة؛ لأنها تسعى دائمًا وراء مصالحها الخاصة، وفي سعيها هذا تستخدم كل الطرق المشروعة وغير المشروعة، فالمحرك الرئيسي للولايات المتحدة هو مصالحها الاقتصادية مع باقي الدول، ولذلك فهي تحارب من أجل الحفاظ على

مصالحها الاقتصادية؛ لأنها بذلك تضمن الحفاظ على كيانها الاقتصادي في العالم؛ فالولايات المتحدة قد تقحم نفسها في حروب لا صلة لها بها من أجل تحقيق مكاسب اقتصادية، حتى ولو كانت هذه المكاسب بسيطة لا تستحق التضحية بأبناء الولايات المتحدة وجنودها الأوفياء، ولكن التفكير المادي المسيطر على عقول قادتها لا يجعلهم يفكرون إلا في المصالح المادية فقط.

٢- إرساء فكرة الحضارة الواحدة:

من أهم الأسباب التي تؤدي لازدواجية المعايير الأمريكية في التعامل مع القضايا المختلفة هي فكرة إرساء الحضارة الواحدة، والتي تمثل الحضارة الأمريكية من وجهة نظرهم، فهم لا يتقبلون الرأي والرأي الآخر؛ لهذا يسعون لفرض حضارتهم المتطرفة على باقي الدول، فجميع الدول يجب أن تتعامل بمنظور أمريكي، ولا تتحدث إلا بالثقافة الأمريكية؛ لأنهم لا يرون سوى حضارتهم، ولا يتقبلون فكرة وجود حضارات مختلفة تعيش إلى جانب بعضها في سلام.

فالولايات المتحدة تستخدم المعايير المزدوجة لفرض سيطرتها على الحضارات الأخرى، في محاولة منها لوأد هذه الحضارات وتطبيعها بالطابع الأمريكي؛ لأنها تخشى من سقوط الحضارة الأمريكية من على عرش الحضارات وقيام حضارات جديدة،

أو عودة حضارات قديمة كانت موجودة قبل ذلك للصدارة كالحضارة الإسلامية.

٣- الخوف الأمريكي من هيمنة دول أخرى على الاقتصاد العالمي:

فالولايات المتحدة تخشى انتزاع مقاليد السلطة العالمية من يدها، خاصة في ظل ظهور قوى اقتصادية جديدة، مثل الصين والهند واليابان، لذلك فهي تستخدم الازدواجية في المعايير من أجل الإبقاء على كيانها الاقتصادي والسياسي في العالم، قبل أن تأتي أي دولة أخرى وتأخذ مكانتها ويخرج الأمر عن السيطرة.

وخوف الولايات المتحدة من تراجع اقتصادها للمرتبة الثانية على مستوى العالم يجعلها تستخدم معايير مزدوجة مع بعض الدول؛ من أجل الحفاظ على كيانها الاقتصادي العالمي في المرتبة الأولى، لكن الولايات المتحدة تحرص عند استخدام المعايير المزدوجة أن تختار الدول الضعيفة التي لا يمكنها الوقوف في وجهها، للتعبير عن رفضها لهذا الأسلوب الديكتاتوري الذي يفرق بينها وبين الدول الكبرى في التعامل على أساس المصالح الأمريكية فقط.

٤- السيطرة على الكيانات الصغيرة في العالم:

فالولايات المتحدة الأمريكية تستخدم سياسة الكيل بمكيالين والمعايير المزدوجة مع الدول الصغيرة، وذلك حتى تستطيع فرض

سيطرتها وإحكام قبضتها على هذه الدول؛ لأن ذلك يمكّنها من دعم اقتصادها بالسيطرة على اقتصاد هذه الدول، وكل هذا من أجل زيادة فرص الولايات المتحدة من البقاء على سدة الحكم العالمي.

والولايات المتحدة ترفض دائمًا اتهامها بالازدواجية في المعايير، وتبرر تصرفاتها في التفريق بين الدول وبعضها بمبررات واهية لا يقتنع بها أي أحد غيرها، فهي تعيش في أكذوبة أنها صاحبة القرار الأول في العالم، ولا يجب على أحد أن يراجعها في قراراتها؛ لأنها دائمًا على صواب، وأكبر دليل على ذلك هو ازدواجية المعايير الأمريكية حول القضية النووية في إيران وإسرائيل، فالولايات المتحدة تريد إنهاء البرنامج النووي الإيراني بأي طريقة، على الرغم من أنه لم يثبت بالدليل القاطع حتى الآن أن هذا البرنامج يهدف للتسلح الحربي، في حين نجدها لا تتخذ أي خطوة جادة تجاه البرنامج النووي الإسرائيلي الحربي الذي تم الإعلان عنه.

٥- دعم بعض الدول التي لها مصالح مع الولايات المتحدة:

فالولايات المتحدة قد تستخدم المعايير المزدوجة لصالح بعض الدول التي لها مصالح مشتركة معها، فهي تساعد بعض الدول في السيطرة على دول أخرى؛ لمجرد أنه توجد بينها وبين هذه الدول منافع متبادلة حيث لا يهمها إلا مصالحها، وهي أيضًا

قد تفعل ذلك لإيقاف تقدم ونمو اقتصاد بعض الدول، إذا رأت أن هذا النمو الاقتصادي يهدد مصالحها الاقتصادية في العـــالم، فالولايات المتحدة على استعداد أن تفعل أي شيء من أجـــل استمرار تقدمها الاقتصادي، حتى لو كان ذلك على حـــساب كيانات أخرى.

الفضائح الأمريكية

في العراق



تعددت فضائح جنود قوات التحالف الأنجلو أمريكي في العراق منذ بداية الغزو وحتى يومنا هذا، حيث ما زال يتم الكشف حتى الآن عن المزيد من هذه الفضائح التي ارتُكبت على أيدي هذه القوات الغاشمة، وسوف أقوم بمحاولة لذكر وتوضيح أهم وأخطر هذه الفضائح، حتى يتسنى للعالم أجمع معرفة الديمقراطية التي يريد الشعب الأمريكي أن ينشرها في العالم.

أولًا: فضيحة نهب وسرقة الآثار العراقية:

حاولت قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي القضاء على الهوية العراقية بطرق عديدة، وكانت أول هذه الطرق هي القضاء على الحضارة العراقية، من خلال تدمير وسرقة الآثار والمخطوطات العراقية النادرة، فبعد سقوط بغداد في أيدي قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي، حدثت جريمة شنعاء تحت سمع وبصر هذه القوات، بل وبمساعدتهم، حيث قام سارقو الحضارات - بدعم من القوات الأمريكية - بتدمير متحف بغداد الوطني، وسرقة ونهب معظم ما يحتويه من آثار وقطع فنية نادرة، كما قاموا بحرق المكتبة الوطنية العراقية، والتي كانت تحتوي على آلاف الكتب والمخطوطات النادرة، والتي لا يوجد لها مثيل في أي مكان آخر في العالم؛ حيث كتبت بأيدي مؤلفيها من علماء ومؤرخين العراق القدامى، وهي أشياء لا

يمكن تعويضها مرة أخرى؛ لأن التاريخ لا يمكن أن يعاد مرة أخرى، فهو يحدث مرة واحدة فقط.

لقد قامت قوات الاحتلال في أيام قليلة بالقضاء على واحدة من أهم الحضارات في العالم أجمع، وكان هدفها هو القضاء على الهوية الحضارية للعراق؛ حيث أن جنود الاحتلال الأمريكي لا يعرفون معنى الحضارة وأهميتها؛ لأنهم جاءوا من بلاد ليس لها حضارة، فكل ما يعرفونه عن الحضارة هو الاسم فقط، فالولايات المتحدة الأمريكية لم يكن لها وجود فعلي عندما كانت بغداد تملأ العالم نورًا بحضارتها وتاريخها المشرق.

ولقد استنكرت جميع المنظمات والجمعيات المعنية بالحفاظ على التراث والحضارات في العالم وعلى رأسها منظمة اليونسكو ما حدث من نهب وتدمير وسرقة لآثار ومخطوطات العراق، تحت أعين القوات الأمريكية التي شاركت بطريقة أو بأخرى في هذه الجريمة، ولكن بماذا سيفيد هذا الاستنكار، فهو مجرد إبداء رأي لن يعيد ما تم تدميره من آثار ومخطوطات العراق التي تحكي تاريخ هذا البلد على مر السنين.

إن أيدي القوات الأمريكية الملطخة بدماء أبناء الشعب العراقي هي نفس الأيدي المتهمة بتدمير حضارة عمرها آلاف السنين، فما حدث في العراق لم يكن قضاء على حضارة واحدة، بل هو قضاء على حضارات متعاقبة؛ لأن العراق مر

بأكثر من مرحلة حضارية، منها الحضارة السومرية والبابلية والآشورية، والحضارة الإسلامية التي كانت فيها بغداد عاصمة للخلافة الإسلامية خلال العصر العباسي.

ولقد نادى جميع الأثريين المهتمين بالحضارة العراقية في كافة أنحاء العالم بضرورة السرعة في إعادة القطع الأثرية التي تم سرقتها وتهريبها خارج العراق، وذلك في محاولة منهم للحفاظ على ما تبقّى من حضارة العراق، كما طالبوا بضرورة ترميم القطع الأثرية التي تم تدميرها، وأعربت العديد من الدول عن استعدادها للمشاركة في عمليات ترميم الآثار العراقية التي تم تدميرها، وذلك لرغبة هذه الدول في إعادة ولو جزء بسيط من الحضارة العراقية التي طالما استفاد منها العالم أجمع لسنوات طوال.

إن من شاهد انتفاضة الساسة والإعلاميين والأثريين في أمريكا لتدمير حركة طالبان تمثال بوذا في أفغانستان كان يتوقع ألا تغمض جفونهم إلا بعد إعادة كافة الآثار والمخطوطات العراقية المسروقة إلى أماكنها الطبيعية، ولكن ما حدث كان عكس ذلك تمامًا، حيث سهّلت قوات الاحتلال عمليات السرقة والنهب، وشاركت في تدمير هذه الحضارة بكل ما لديها من قوة وعتاد.

ثانيًا: فضيحة تغيير العلم العراقي:

هي محاولة أخرى من الإدارة الأمريكية لتغيير الهوية العراقية، حيث قررت قوات الاحتلال الأمريكي تغيير شكل العلم العراقي، بحجة أن هذا العلم يعبر عن عهد الديكتاتور السابق صدام حسين، وحزب البعث الذي كان يرأسه.

وقد قوبلت هذه المحاولة باستهجان من جانب جموع الشعب العراقي، حيث خرج العراقيين للشوارع لإبداء اعتراضهم على الرغبة الأمريكية في تغيير العلم العراقي؛ لأن العلم لا يعبر عن شخص بعينه، وإنما يعبر عن هوية الشعب العراقي كله، فالعلم هو الرمز الذي يجتمع تحت رايته كل الشعب، وعندما تكون هناك رغبة في تغييره يجب أن تكون نابعة من إرادة الشعب نفسه في التغيير؛ لأن فرض تغيير العلم هو محاولة لطمس هوية الشعب وثقافته، إن وعي الشعب العراقي بأهمية الحفاظ على الهوية العراقية - من خلال الإبقاء على شكل العلم العراقي - هو الذي جعل الشعب يخرج في تظاهرات معبرًا عن رفضه واستيائه، رافعًا العلم العراقي، رافضًا استبداله بعلم آخر يرمز لعهد الاحتلال الأمريكي للعراق؛ لأن الشعب العراقي لو أراد أن يغير العلم العراقي فلن يحدث ذلك إلا بعد انتهاء الاحتلال.

ورغم أن الهيئات الحكومية العراقية رفعت العلم العراقي المؤقت فوق بناياتها تحت ضغط قوات الاحتلال، وبعد مناقشة الأمر في البرلمان العراقي، والموافقة على استخدام هذا العلم لمدة عام، إلا أن ذلك لا يعبر عن إرادة الشعب العراقي الذي ما زال مصرًّا على رفض هذا العلم، مثلما يرفض الاحتلال.

ثالثًا: فضيحة تدمير مدينة الفلوجة العراقية:

اشتدت المقاومة العراقية ضد جنود التحالف الأنجلو أمريكي. مما تسبب في خسائر فادحة لهم، وكانت أكثر الخسائر في جانب الجنود الأمريكيين، الذين لاقوا مقاومة عنيفة في جميع أنحاء العراق، وكانت مدينة الفلوجة هي أكثر المدن العراقية شراسة في مواجهة جنود الاحتلال الأنجلو أمريكي منذ بداية الغزو، حيث اشتدت المواجهات بين المقاومين في الفلوجة وجنود الاحتلال الأمريكي، وقد ظل الوضع هكذا حتى إبريل ٢٠٠٤؛ أي بعد عام تقريبًا من سقوط بغداد، وذلك حين تم قتل أربعة مدنيين أمريكيين في الفلوجة، وتم التمثيل بجثثهم، وقد أثارت هذه الحادثة الجيش الأمريكي، وجاء رد فعله بطريقة عشوائية انتقامية تخلو من كل المشاعر الإنسانية؛ حيث قامت قوات الاحتلال الأمريكي بقصف المدينة جوًّا وبرًّا، مما تسبب في قتل مئات المدنيين العراقيين، وقد أثار القذف الأمريكي الهمجي للمدينة حفيظة الشعب العراقي في كافة الأنحاء، واشتدت المقاومة الشعبية في كل المدن، مما تسبب في

خسائر مادية وبشرية كثيرة لجنود الاحتلال، وبالرغم من ذلك ظل جنود الاحتلال الأمريكي يحاصرون المدينة قرابة الشهر، ولكن دون جدوى؛ حيث رفضت المقاومة العراقية في المدينة الخضوع لجيش الاحتلال، وظلت صامدة أمام قوة وكثرة العتاد الحربي لجيش الاحتلال، وأمام هذا الصمود اضطرت قوات الاحتلال الأمريكية للانسحاب من المدينة وهي تجر وراءها أذيال الخزي والعار والفضيحة.

إن تَعَامُل جنود الاحتلال الأمريكي مع ما حدث في مدينة الفلوجة يدل على قلة الوعي الأمريكي بطبيعة الشعب العراقي، الذي يرفض الخضوع ويفضل الموت على العيش تحت وطأة الاحتلال، كما أنه يدل على سوء التخطيط من جانب القادة المختصين بشئون الحرب في التعامل مع الأزمة؛ لأنه كان يجب اعتبار ما حدث في الفلوجة حادثًا عرضيًّا؛ لأنها كانت المرة الأولى التي يتم فيها التمثيل بجثث مدنيين منذ بدء الحرب، وهذه الحادثة لا تعبر عن طبيعة الشعب العراقي، الذي يعي جيدًا حرمة قتل المدنيين أيًّا كانت أجناسهم أو دياناتهم.

إن صمود شعب الفلوجة أمام قوة الاحتلال الغاشمة، ونقص الأسلحة والذخيرة والطعام وجميع مقومات الحياة لديهم سيظل أمرًا واقعًا تحكي عنه الأجيال القادمة وتفتخر به، في حين سيظل وصمة عار في تاريخ الاحتلال الأمريكي.

رابعًا: فضيحة سجن أبو غريب:

وهي الفضيحة الأمريكية الكبرى في العراق، وقد ظهرت للعالم في ٣. إبريل ٢٠٠٤، عندما تم نشر صور للأسرى العراقيين في سجن أبو غريب، وجنود الاحتلال الأمريكي يقومون بتعذيبهم، وقد أثارت صور تعذيب الأسري العراقيين في سجن أبو غريب مشاعر الاستياء والغضب في العالم أجمع؛ حيث احتوت هذه الصور على مشاهد يشيب لها الولدان، فقد استخدم جنود الاحتلال الأمريكي جميع وسائل التعذيب والإهانة مع الأسرى العراقيين، حيث كانوا يجردوهم من ملابسهم كاملة، ويدخلون عليهم كلاهم المدربة لكي تنهش أجسادهم الضعيفة، كما كانوا ينتهكون أعراضهم دون شفقة أو رحمة، ويمنعون عنهم الطعام والشراب، ويصعقوهم بالتيار الكهربائي، ويجبروهم على فعل أعمال لا أخلاقية، وغير ذلك من وسائل التعذيب التي ابتكرها جنود الاحتلال لتعذيب الأسرى الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، لقد انتُزعت الرحمة من قلوب جنود الاحتلال الذين مارسوا أقصى أنواع التعذيب مع سجناء أبو غريب، فلم يكونوا أفضل حالًا من الكلاب التي دربوها على التعذيب والقتل.

وبعد فضيحة سجن أبو غريب خرجت جميع الشعوب لتتظاهر ضد احتلال العراق، حتى شعوب الدول المشاركة في الحرب خرجت هي الأخرى لتعلن رفضها لما يحدث في العراق، مطالبة قادتها بسحب القوات المشاركة لبلادهم في الحرب على

العراق؛ لأن ما شاهده العالم أجمع على شاشات التلفزيون وصفحات المجلات والجرائد لم يكن ليصدقه أحد لو لم يكن مصورًا؛ لأنه لا يمكن وصفه إلا بالدناءة والخسة التي اعتاد عليها العالم من قادة الدول التي تروِّج للحرب والتدمير والقتل.

أما عن رد فعل باقي قادة العالم، فقد استنكروا وأدانوا بشدة ما حدث في سجن أبو غريب، كما أدانت الأمم المتحدة وجميع منظمات حقوق الإنسان في العالم ما حدث، وطالبوا بإجراء تحقيقات مع الجنود الذين قاموا بانتهاك حقوق الأسرى العراقيين، وطالبوا بأقصى عقوبات لهم، ولكن كل ذلك دون جدوى؛ حيث قررت الولايات المتحدة محاكمة الجنود المتورطين على الأراضي الأمريكية، ورفضت أن تتم محاكمتهم أمام محكمة العدل الدولية، وأخذت تعهدات بذلك، وبالفعل تمت المحاكمة على الأراضي الأمريكية، وأسفرت نتائجها عن تسريح الجنود المتورطين من الجيش الأمريكي، ومعاقبة عدد قليل منهم بالسجن فترات قصيرة لا تتناسب مع بشاعة ما قاموا بفعله للأسرى العراقيين، وقد علَّق أحد هؤلاء الجنود بعد الحكم عليه بالسجن بأن وجوده في السجن أفضل من البقاء في العراق.

وقد عبر الرئيس الأمريكي جورج بوش عن استيائه لما حدث في سجن أبو غريب، وقد توقع الجميع أن يكذب وينكر

أحداث أبو غريب، حيث اعتدنا منه الكذب، ولكن وجود الصور التي تؤكد حدوث انتهاكات في سجن أبو غريب منعته هذه المرة من فعل ذلك، فالرئيس الأمريكي اعتاد الكذب في كل ما يخص الحرب الأمريكية على العراق، ابتداء من الأسباب الوهمية التي ابتكرها عقله الشيطاني لإعلان الحرب على العراق، ثم الكذب في موعد إلقاء القبض على الرئيس العراقي صدام حسين، وادعاؤه ارتباط الرئيس العراقي بتنظيم القاعدة، ثم ادعاؤه استقرار الأوضاع الأمنية في العراق، وأنه سيسرع في سحب الجنود الأمريكيين من العراق قدر الإمكان، وقد ثبت بمرور الوقت كذب كل هذه الادعاءات، وغيرها من أكاذيب الرئيس بوش.

والحقيقة أن قرار الولايات المتحدة بمحاكمة الجنود المتهمين في فضيحة أبو غريب على الأراضي الأمريكية وصدور أحكام مخففة ضدهم هو ترويج للإرهاب بطريقة علنية؛ لأن ما حدث كان إرهابًا لأشخاص لا يملكون ما يدافعون به عن أنفسهم، والدليل على ذلك أن فضيحة سجن أبو غريب لم تنته بعد الإعلان الأول عنها، بل عادت لتظهر على الساحة مرةً أخرى في فبراير ٢٠٠٦، عندما قامت أستراليا بنشر صور جديدة لمعتقلين يتم تعذيبهم داخل سجن أبو غريب، وقد كانت الصور الجديدة تضاهي في قوتها قوة الصور القديمة في قدرتها على استفزاز المشاعر الإنسانية التي تعبر عن الاستياء والغضب،

وقد أثبتت التحقيقات أن الصور التي نشرت صور جديدة بالفعل، تم تصويرها بعد الفضيحة الأولى التي تم تفجيرها في إبريل ٢٠٠٤ داخل سجن أبو غريب، مما يؤكد أن تدليل الولايات المتحدة لأبنائها الذين ينتهكون حقوق الإنسان في البلاد التي تحتلها مثل العراق وأفغانستان، وهو دعم صريح للإرهاب، وتكريس للطائفية في العالم؛ لأن الشعب الأمريكي يعتقد في قرارة نفسه أنه أفضل شعوب العالم وأعظمها، ويتعامل مع الشعوب الأخرى من هذا المنظور، والذي ساعد على ترسيخ هذا الاعتقاد العنصري الخاطئ عند الشعب الأمريكي الطريقة المتعالية في تعامل الإدارات الأمريكية المتعاقبة مع باقي دول العالم - خاصة الدول الفقيرة؛ حيث تنظر الحكومات الأمريكية لباقي دول العالم على أنها أقل شأنًا وأهمية.

إن التهاون في التعامل مع فضيحة سجن أبو غريب في المرة الأولى هو السبب الرئيسي في تكرارها مرة أخرى، كما أن التهاون في التعامل معها في المرة الثانية سيكون السبب في تكرارها مرات أخرى بنفس الطريقة أو بطرق أخرى.

لأنه لو كان تم التعامل مع الفضيحة الأولى بطريقة أكثر حزمًا وصرامة، عن طريق الحكم على الجنود المشتركين فيها بأحكام مشددة، وعزل القيادات التي يعملون تحت قيادتها، وتجريدهم من مناصبهم، ما كانت لتتكرر هذه الفضيحة مرة

أخرى بطريقة أكثر بشاعة من الطريقة التي حدثت بها في المرة الأولى.

ولقد لاقت فضيحة سجن أبو غريب صدى واسع في المرة الثانية، حيث تظاهرت جميع شعوب العالم من أجل إنهاء الاحتلال الأمريكي للعراق، ولكن دون جدوى؛ لأن الرئيس الأمريكي كان لا يسمع إلا صوته، الذي يرى ضرورة استمرار التواجد الأمريكي في العراق من أجل إحلال الأمن، والقضاء على الإرهاب، وترسيخ الديمقراطية، وهذا هو ما يمليه عليه الشيطان الذي تحالف معه من أجل تخريب واحدة من أهم وأعرق الحضارات في العالم.

خامسًا: فضيحة مذبحة حديثة والإسحاقي:

وقعت مذبحة حديثة في نوفمبر ٢٠٠٥، عندما قام عناصر من ضباط المارينز الأمريكي بقتل ٢٤ مدنيًّا عراقيًّا بإطلاق الرصاص عليهم، وقد نفى الجيش الأمريكي في البداية هذه الواقعة، لكن التحقيقات كلها أكدت ما حدث، وكان رد فعل وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون لا يتناسب مع حجم هذه الكارثة، حيث قررت إقالة بعض القيادات من مناصبها فقط.

وتكررت الهمجية الأمريكية مرة أخرى بعد أشهر قليلة من مذبحة حديثة، ولكن هذه المرة في بلدة الإسحاقي، في مارس ٢٠٠٦، عندما قام جنود الاحتلال الأمريكي بقتل أحد عشر

مدنيًّا عراقيًّا من أسرة واحدة، وهم خمسة أطفال، وأربع نساء، ورجلان، عن طريق إطلاق النار عليهم بعد تقييدهم، ثم قامت إحدى الطائرات بعد ذلك بقصف المترل لإخفاء حقيقة ما حدث، وقد أثارت هذه الحادثة المزيد من مشاعر الكره والاستياء الذي يكنه الشعب العراقي لقوات الاحتلال الأمريكي، وخرجت جموع الشعب العراقي لتعبر عن هذه المشاعر بالتظاهر في جميع أنحاء العراق، لتوصل للعالم كله رسالة رفضها للاحتلال.

وكالعادة نفت الولايات المتحدة أن يكون جنودها قد ارتكبوا مثل هذه الواقعة، وقالوا إن ما حدث هو تعرُّض الجنود الأمريكيين لهجوم من داخل المترل الذي وقعت به الحادثة، مما اضطرهم لاستدعاء مساندة جوية، أدت لتدمير المترل وقتل أربعة أشخاص فقط، ولكن بث شريط فيديو يؤكد حدوث المجزرة الأمريكية في بلدة الإسحاقي أحبط طموح القيادة الأمريكية في الاستمرار في هذه الكذبة، وقد تعامل القادة الأمريكيون مع هذه الحادثة بدم بارد مثل سابقتها، ولم يراعوا مشاعر الغضب والاستياء عند الشعب العراقي وباقي شعوب العالم، وقاموا بإصدار أحكام مخففة ضد الجنود الذين ارتكبوا جريمة الإسحاقي.

سادسًا: فضيحة شركة بلاك ووتر الأمريكية:

وشركة بلاك ووتر هي شركة أمن أمريكية خاصة، تقوم ببعض أعمال الأمن في العراق، مع العديد من شركات الأمن الأمريكية الأخرى، وقد ثبتت مسئولية هذه الشركة عن قيامها بقتل أحد عشر مدنيًّا عراقيًّا في ساحة ميدان النسور ببغداد، ولهذا قامت الحكومة العراقية بتعليق عمل هذه الشركة في العراق، إلا أن الخارجية الأمريكية رفضت تحقيق العدالة، وجددت عقد شركة بلاك ووتر في إبريل ٢٠٠٨ لمدة عام آخر في بغداد، وذلك رغم ثبوت الواقعة.

إن الاستهتار وعدم المبالاة التي يظهرها الجنود الأمريكيين في تعاملهم مع الشعب العراقي يدل على انعدام القيم والأخلاق عند الشعب الأمريكي، الذي لم يعد يعرف قيمة الحياة والوجود، فقتل الجنود الأمريكيين للمدنيين العراقيين هو أكبر دليل على انهيار الأخلاق عند الشعب الأمريكي، الذي باتت تسيطر عليه ثقافة القتل والتدمير، ولم يعد يكترث لحياة الآخرين؛ فالمهم عندهم الآن هو الوجود الأمريكي فقط، حتى لو كان ذلك على حساب الشعوب الأخرى، وبسبب هذا الانهيار الأخلاقي عند الجنود الأمريكيين، والتهاون من جانب قادتهم في التعامل معهم، سيظل مسلسل قتل المدنيين العراقيين مستمرًّا حتى انتهاء الاحتلال.

سابعًا: فضيحة بناء سور الأعظمية:

شرعت قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي في إبريل ٢٠٠٧ في بناء سور خرساني بارتفاع مترين في حي الأعظمية السنّي، وذلك لفصله عن الأحياء الشيعية المجاورة له - على حد قول قادة قوات الاحتلال؛ حفاظًا على حياة سكان الحي الذي تطوّقه الأحياء الشيعية، وذلك حتى لا تحدث فتنة طائفية بين الجانبين السني والشيعي، ولكن الهدف الحقيقي من وراء بناء هذا السور - كما يعلم الجميع، هو تكريس الطائفية؛ لأن بناءه يعني وجود خلافات ومشاكل بين الجانبين السني والشيعي، وأن هذه الخلافات لن تنتهي إلا بالفصل بينهما، وهو ليس بالأمر الصحيح؛ حيث لم يأتِ بناء السور كنتيجة لرغبة الجانب السني أو الشيعي في الفصل، وإنما جاء بأمر من القيادة الأمريكية في العراق، وربما بأمر من الإدارة الأمريكية في الولايات المتحدة.

إن الهدف الحقيقي من وراء تكريس الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة في العراق هو إقحام العراقيين في مشاكل داخلية؛ حتى تنصرف أنظارهم عن العدو الحقيقي للبلاد، وينشغلوا في العمل على حل مشاكلهم الداخلية، ولو تحققت الرغبة الأمريكية في إشعال نار الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة فإن هذه النار لن يتم إخمادها إلا بعد تقطيع أوصال العراق،

والقضاء على ما تبقّى منه بعد الحرب الأنجلو أمريكية، مما يتيح الفرصة أمام المحتل الأمريكي في تحقيق أطماعه الاستعمارية دون عناء ومشقة.

وعندما تم الإعلان عن البدء في بناء سور الأعظمية تذكر الجميع جدار الفصل العنصري الذي تقوم ببنائه قوات الاحتلال الإسرائيلي داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، والذي تهدف من ورائه إلى ضم أراضٍ فلسطينية جديدة لها، وتقوم ببنائه بحجة الحفاظ على أمن إسرائيل المزعومة من المتسللين الفلسطينيين، ولقد رفضت معظم دول العالم بناء هذا الجدار العنصري، وباركته بعض الدول، وعلى رأسها الولايات المتحدة، التي تساند الظلم في كل مكان، على الرغم من إدانة محكمة العدل الدولية لهذا الجدار، كما تذكر العالم أيضًا سور برلين الذي كان يفصل بين ألمانيا الشرقية والغربية، وتم هدمه عام ١٩٨٩ للقضاء على عهد من العنصرية التي ليس لها أساس.

وكما رفضت معظم دول العالم جدار الفصل العنصري الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، رفضت أيضًا سور الفصل العنصري الأمريكي في العراق، ونددت باستمرار بنائه ووجوده، وخرجت تظاهرات الشعب العراقي من كافة المدن العراقية، بما فيها حي الأعظمية الذي تهدف قوات الاحتلال الأمريكي لحمايته - على حد قولها - لتعبِّر عن رفضها لجدار الفصل العنصري الذي يصب في المصلحة الأمريكية فقط.

ولقد عبر الفنانون التشكيليون العراقيون بكافة طوائفهم عن رفضهم لسور الفصل العنصري في حي الأعظمية بطريقتهم الخاصة، والتي كانت تعبر عن مدى أصالة الشعب العراقي وتحضُّره؛ حيث قاموا بالرسم على الجدار، ليجعلوا منه لوحة فنية رائعة، ويكسروا به شوكة الاحتلال؛ لكي يتذكر العالم كله صمود الشعب العراقي، ووقوفه وقفة رجل واحد في وجه الاحتلال الأمريكي، وفي البداية رفضت قوات الاحتلال إنهاء بناء الجدار العازل في حي الأعظمية، لكن مع إصرار الشعب العراقي على وقف عمليات البناء لم تجد قوات الاحتلال بديلًا عن إيقاف البناء، والرضوخ لرغبة الشعب العراقي الصامد.

إن وقوف الشعب العراقي أمام التعنُّت الأمريكي في بناء سور الأعظمية العنصري هو أكبر دليل على أن الشعب العراقي ما زال متمسكًا بوحدة أراضيه، حيث طالب العراقيين بكافة طوائفهم من مسلمين سنة وشيعة وأكراد ومسيحيين، بضرورة إنهاء جدار الفصل العنصري بأسرع وقت، مما يدل على توحُّد الصف العراقي في مواجهة قوات الاحتلال، ويدل أيضًا على التحام نسيج الشعب العراقي من المسلمين السنة والشيعة، وأن المزاعم الأمريكية بغير ذلك هدفها الرئيسي هو زرع بذور الفتنة الطائفية بين الجانبين لتحقيق مصالح خاصة.

ثامنًا: فضيحة سرقة منازل المدنيين العراقيين:

لم يكتف جنود الاحتلال الأمريكي بسرقة ونهب حضارة العراق وآثارها، بل قاموا أيضًا بسرقة ممتلكات المدنيين العراقيين، وذلك عن طريق الذهاب لمنازل المدنيين العُزَّل وإخضاعهم بالقوة تحت تهديد السلاح، ثم سرقة ونهب ما يريدونه، وبالطبع لا يستطيع أحد أن يواجههم؛ لأن المواجهة تعني الموت، وتعتبر دربًا من الجنون في مثل هذه المواقف، وقوات الاحتلال الأمريكي لم تراعِ حرمة البيوت، فهم يتهجمون على منازل العراقيين في أوقات الليل المتأخرة دون سابق إنذار، وهدفهم هو السرقة والإرهاب، وكأنهم يريدون استعراض قوتهم على المدنيين العزل الذين لا يمكنهم فعل شيء، وذلك تعويضًا عن فشلهم في السيطرة على الأمن في الشارع العراقي، نتيجة المقاومة الشديدة التي يواجهونها كل يوم، والتي تتسبب في خسائر مادية وبشرية كبيرة، مما يصيبهم بإحباط؛ فيتجهون لأعمال البلطجة والإرهاب ضد المدنيين.

والتصرفات الهمجية لجنود الاحتلال الأمريكي تنبع أساسًا من ثقافة الكاوبوي التي نشئوا وترعرعوا عليها؛ حيث نجد أن معظم الشعب الأمريكي لا يحترم الآخر، وينظر إليه على أنه أقل شأنًا وأهمية، وذلك لاعتقادهم أن الولايات المتحدة هي

بلاد التمدّن والحضارة، أما باقي العالم فهم أقل تمدُّنًا وحضارة.

وطريقة التربية الخاطئة التي نشأ عليها معظم الأمريكيين هي السبب الرئيسي وراء المفاهيم المغلوطة الراسخة في عقولهم، وهذه المفاهيم من الصعب تغييرها الآن، وتحتاج لعشرات السنين حتى يتم تغييرها؛ لأهم لا يسمعون للآخر، ولا يريدون الاختلاط به، وكل ما يفعلونه هو أهم ينظرون إليه من فوق برجهم العاجي نظرة تنم عن احتقار ودونية، كما أن ثقافة الحرب والتدمير التي نشأ عليها الشعب الأمريكي هي سبب آخر وراء العداء الأمريكي للآخر؛ لأهم لم يتعلموا الثقة في غيرهم، ولهذا فهم دائمًا يخشون من الهجوم عليهم، ولهذا يكون الهجوم هو خير وسيلة للدفاع من وجهة نظرهم، فعلى الرغم من تاريخ الولايات المتحدة الذي لا يتعدّى بضع من مئات السنين إلا أن تاريخها مليء بالحروب والصراعات، فلقد قامت هذه الدولة على حساب السكان الأصليين من الهنود الحمر الذين تم إبادة معظمهم؛ للاعتقاد بأهم شعب همجي لا يستحق الحياة، ثم توالت حروب الولايات المتحدة في الداخل والخارج، وكانت معظم هذه الحروب عدائية، من أجل تحقيق مصالحها الخاصة، حيث لم تكن هذه الحروب من أجل التحرير أو الدفاع عن النفس.

تاسعًا: فضيحة علاج الأطفال المصابين في الحرب:

أما ما يدعو للدهشة والسخرية في الحرب على العراق هو قيام القيادة الأمريكية في العراق بإرسال الحالات الحرجة من الأطفال العراقيين الذين أصيبوا خلال الحرب لتلقّي العلاج اللازم في الولايات المتحدة والدول الأوربية، حيث إنه خلال الحرب الأمريكية على العراق أصيب آلاف من الأطفال العراقيين إصابات خطيرة، ومعظمهم فقد واحد أو أكثر من أطرافه الأربعة على يد جنود قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي خلال عمليات القذف والقنص، كما أن معظمهم فقدوا أسرهم وعائلاتهم، ولهذا قامت القيادة الأمريكية في العراق بالتنسيق مع الإدارة الأمريكية للعمل على إرسال هؤلاء الأطفال للولايات المتحدة وبعض من الدول الأخرى لتلقّي العلاج وتركيب أطراف تعويضية لهم، ظنًّا منهم أن هذه الأطراف الصناعية سوف تعوضهم عن أطرافهم الحقيقية التي فقدوها خلال الحرب.

ونجد قادة الحرب الأمريكيين يفتخرون بما يفعلونه، ويتشدَّقون به في كل مكان، ولا يكتفون بما حدث لهم، بل نجدهم يقومون بتصوير هؤلاء الأطفال وهم يستخدمون أطرافهم الصناعية، ويجعلونهم يتحدثون عن سعادتهم بها،

ويعلنون ذلك على العالم كله، متجاهلين مشاعر هؤلاء الأطفال، مستغلّين براءتهم وعدم وعيهم بخطورة ما حدث لهم.

والحقيقة التي يعلمها الجميع أنه مهما فعل هؤلاء القتلة لأطفال العراق المنكوبين، فلن يتمكنوا من تعويضهم عن ظفر إصبع واحد؛ لأن ما خلقه الله لا يعوضه إنسان، وحتى لو تم تعويض هؤلاء الأطفال عن أطرافهم الطبيعية بأطراف صناعية، فكيف ستعوضهم الإدارة الأمريكية الغاشمة عن أسرهم وعائلاتهم التي فقدوها في الحرب؟ فالإدارة الأمريكية كانت تريد أن تكسب عطف وتأييد العالم بما تفعله مع أطفال العراق المصابين، ولكنها لم تجد سوى مشاعر الغضب والاستياء مما حدث؛ لأن فيه امتهان لكرامة الإنسان.

عاشرًا: فضيحة انتحار الجنود الأمريكيين في العراق:

منذ الشهور الأولى للحرب الأنجلو أمريكية على العراق ونحن نسمع عن ظاهرة غريبة داخل معسكرات الجيش الأمريكي، وهي ظاهرة انتحار الجنود الأمريكيين، والتي انتشرت بصورة كبيرة بعد ذلك، مع استمرار التواجد الأمريكي في العراق فنسب الانتحار في صفوف جنود الاحتلال الأمريكي تزداد عامًا بعد آخر، ففي العام الأول للحرب تم الإعلان عن تسعين حالة انتحار، وارتفع هذا العدد ليصبح مائة وواحد وعشرين حالة انتحار في عام ٢٠٠٧، مما

يؤكد أن العراق أصبح جحيمًا لجنود الاحتلال، وجميع النداءات التي وجَّهها الجنود المحبَطين للإدارة الأمريكية لم تجد أي صدى عند القادة الأمريكيين، الذين لا يعرفون مدى المعاناة التي يشعر بها جنودهم في العراق؛ لأنهم لم يعيشوا لحظات الموت التي عاشها هؤلاء الجنود، الذين يموتون في اليوم الواحد ألف مرة خوفًا من الموت بعيدًا عن أسرهم وبلادهم.

أهم أسباب ارتفاع نسب انتحار الجنود الأمريكيين:

١- عدم قناعة كثير من الجنود الأمريكيين بضرورة الحرب على العراق، حيث تم الزج بهم في هذه الحرب دون رغبتهم؛ لأن التجنيد في الولايات المتحدة إجباري، ومع الكشف عن عدم شرعية هذه الحرب، وإثبات كذب الرواية الأمريكية بخصوص امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، زادت قناعة هؤلاء الجنود بعدم أهمية الحرب، وأصبحوا على يقين بأن وجودهم في العراق خطيئة يجب إنهاؤها بأي وسيلة، حتى لو تطلب الأمر عمل خطيئة أكبر منها في الإثم.

٢- شدة المقاومة العراقية التي تستهدف جنود الاحتلال الأمريكي، فتصيب وتقتل الكثير منهم، فأصبح انتظار الموت هاجسًا عند بعض الجنود، مما يجعلهم يفضلون إنهاء حياتهم بصورة أسرع.

٣- عدم حدوث أي تقدم في الحرب على العراق، بالرغم من دخول الحرب عامها السادس، فالأوضاع لا تزداد إلا سوءًا.

٤- إعلان الإدارة الأمريكية برئاسة جورج بوش الابن عن استمرار التواجد الأمريكي في العراق لفترة طويلة، مما أدى لشعور الجنود الأمريكيين بالإحباط، نتيجة فقدانهم الأمل في العودة لأسرهم بإنهاء هذا الاحتلال.

كان ينبغي على الإدارة الأمريكية السابقة أن تفكر بعقلانية مرة واحدة فقط، ليس من أجل العراق وأبنائه، بل من أجل جنودها، الذين عانوا الأمرَّيْن بسبب إقحامهم في حرب غير شرعية، بُنِيَت على كذب الرئيس جورج بوش الابن؛ لأن أفضل ما كان يمكن تقديمه لهؤلاء الجنود هو الانسحاب من هذه الحرب، التي ظلت خسائرها تزداد يومًا بعد آخر، وسط تجاهل القيادة الأمريكية التي باتت تتخبط، نتيجة عدم وجود سياسة واضحة يمكن اتباعها في هذه الحرب، فأي خطوة حدثت كانت بطريقة غير مدروسة؛ لأن الشيء الوحيد الذي تم التخطيط له جيدًا في هذه الحرب، هو كيفية الوصول لثروات العراق النفطية والاستيلاء عليها، وهو السبب الرئيسي للحرب الأمريكية على العراق.

الانتخابات الأمريكية

وسقوط التحالف

الأنجلو أمريكي

بدأت انتخابات التجديد النصفي الأمريكية لرئاسة الجمهورية مع بداية عام ٢٠٠٤، وقد جدد الحزب الجمهوري ثقته بالرئيس الأمريكي جورج بوش الابن لخوض هذه الانتخابات، على الرغم من كل ما تسبب فيه خلال فترة رئاسته الأولى، أما الحزب الديمقراطي المنافس فقد دعم عدة متسابقين لخوض هذه الانتخابات؛ حتى يستطيع بعد ذلك اختيار أكثرهم شعبية، ولقد حصل المرشح الديمقراطي جون كيري على دعم حزبه، لينافس الجمهوري جورج بوش، وذلك بعد جولة انتخابية شرسة مع باقي المرشحين الديمقراطيين، حيث كان أوفرهم حظًا، وحصل على أكبر عدد من الأصوات الانتخابية التمهيدية.

ولقد استخدم الحزب الديمقراطي الحرب على العراق كورقة للضغط على الحزب الجمهوري، لحشد أكبر عدد من الأصوات؛ حيث إنه خلال هذه الفترة كان قد تم الكشف عن أكاذيب الإدارة الأمريكية بخصوص امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، والتي كانت السبب الذي برر به الرئيس الأمريكي بوش الحرب على العراق، كما زادت أعداد الطائرات الأمريكية القادمة من العراق وعليها نعوش الجنود الأمريكيين الذين لاقوا حتفهم خلال الحرب؛ لأن المقاومة العراقية كانت قد بدأت تشتد خلال هذه الفترة، كما بدأ التحالف الأنجلو أمريكي يتفكك بإعلان بعض الدول المشاركة في الحرب عن قيامها بسحب جنودها من العراق في أقرب

فرصة، بالإضافة لعدم حدوث أي تقدم في الحرب على أفغانستان، فالحزب الديمقراطي ركَّز خلال حملته على السياسة الخارجية الأمريكية وعلاقاتها مع باقي الدول، خاصة دول الشرق الأوسط والدول الإسلامية.

أما الحزب الجمهوري، فقد اهتم بالسياسة الداخلية الخاصة بتحسين أوضاع الشعب الأمريكي الاقتصادية والصحية، من خلال العمل على خفض الضرائب التي تؤرِّق الشعب الأمريكي، وخفض تكاليف التأمين الصحي؛ حيث يتكبَّد المواطن الأمريكي أموالًا كثيرة من أجل الإنفاق على العلاج سنويًّا، وركَّز أيضًا على دعم الشباب، وتوفير فرص عمل لهم لتقليل نسبة البطالة، أما عن السياسة الخارجية - خاصة موضوع الحرب على العراق - فكان الحزب الجمهوري يؤكد دائمًا على مشروعية هذه الحرب، وأنها حدثت للحفاظ على الأمن العالمي؛ لأن العراق كانت تشكل تهديدًا كبيرًا على العالم.

وبعد أن أصبح سباق الرئاسة الأمريكية ينحصر بين مرشحين فقط، هما الجمهوري جورج دبليو بوش، والديمقراطي جون كيري، أظهرت استطلاعات الرأي تقاربًا كبيرًا بينهما، وكان كل منهما يتقدم على الآخر تقدمًا طفيفًا من حين لآخر، وذلك حتى اللحظة الأخيرة للانتخابات، حيث لم يستطع أحد

أن يجزم بالرئيس الأمريكي القادم للولايات المتحدة، إلى أن تم الإعلان يوم ٢ نوفمبر ٢٠٠٤ عن فوز الرئيس جورج بوش بفترة رئاسية أخرى، وكان الفارق بينه وبين كيري صغير جدًّا، وقد اعترف كيري بهزيمته، ولم يشكك في الانتخابات، وهنَّأ الرئيس بوش بالفوز.

والحقيقة أن جورج بوش وجون كيري وجهان لعملة واحدة، على الأقل في السياسة الخارجية المتعلقة بالشرق الأوسط والدول الإسلامية، وهما في ذلك مثل باقي رؤساء الولايات المتحدة السابقين، فجون كيري لم يكن يهتم إلا بالفوز في الانتخابات، لذلك استخدم الحرب على العراق كورقة للضغط على الرئيس بوش، في حين أنه لا يهتم بالعراق، ولا بالشعب العراقي، وما يؤكد ذلك أن كيري عبر عن سياسته العدائية تجاه الدول العربية والإسلامية خلال فترة الانتخابات الأمريكية، حين عبَّر عن انحيازه الواضح لإسرائيل بعد اغتيالها عبد العزيز الرنتيسي قائد حركة حماس، بقوله إن لإسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها ضد الإرهاب، والذي يقصد به المقاومة الفلسطينية.

أما أسباب فوز الرئيس جورج بوش بفترة رئاسية أخرى، بالرغم من السياسة الخارجية العدائية التي كان ينتهجها، فهي اهتمام الرئيس بوش بالتركيز على السياسة الداخلية للولايات

المتحدة، حيث إن وعوده الانتخابية تركزت في العمل على حل المشاكل الداخلية التي تؤرق الناخب الأمريكي، في حين انشغل الحزب الديمقراطي ومرشحه جون كيري بالسياسة الخارجية وحروب الولايات المتحدة المزعومة ضد الإرهاب، والمعروف أن معظم الشعب الأمريكي يهتم بالسياسة الداخلية والإصلاحات التي تقوم بها أي إدارة من أجل تخفيف الأعباء عنه، أما اهتمام المواطن الأمريكي بالسياسة الخارجية فهو محدود؛ لأنها لا تعود عليه بالنفع.

إن فوز الرئيس الأمريكي جورج بوش بفترة رئاسية أخرى لم يكن مفاجأة، حيث أنه كان متوقعًا من خلال استطلاعات الرأي التي تقوم بها مراكز متخصصة، والتي كانت تُظهِر تقاربًا كبيرًا بينه وبين المرشح الديمقراطي جون كيري، أما الذي فاجأ العالم كله هو إصرار الشعب الأمريكي على انتخاب الرئيس بوش الابن لفترة رئاسية أخرى بالرغم من كل الخسائر التي تكبَّدها الاقتصاد الأمريكي في الحرب المزعومة على الإرهاب، حيث تُرصد كل عام ميزانية ضخمة تقدَّر بمليارات الدولارات للإنفاق على الحرب في أفغانستان والعراق، وأيضًا انتخابه بالرغم من الكشف عن أكاذيبه في كل ما يتعلق بهذه الحرب.

وقد يرجع انتخاب الشعب الأمريكي للرئيس بوش مرة أخرى لإيمانه بأهمية الحرب، واقتناعه بآراء الرئيس، أو لانعدام

الأخلاق والقيم الإنسانية لديه، حيث لم يعد الشعب الأمريكي يهتم بما يحدث للشعوب الأخرى، أو لنجاح إدارة الحواة الأمريكية في تضليل وخداع الشعب الأمريكي، وتمكنها من تبرير أكاذيبها المستمرة.

ولا يمكننا أن نظلم الشعب الأمريكي وحده؛ لأنه ليس السبب الوحيد في استمرار غطرسة الرئيس بوش وحلفائه، ممن انعدم ضميرهم وتجمدت أخلاقهم، حيث وقف العالم كله مكتوف الأيدي، معصوب العينين، أصم الأذنين، أمام هذه الغطرسة الأمريكية، في حين لم يقف نفس العالم دقيقة حداد واحدة على ضحايا الحرب الأنجلو أمريكية في العراق.

ورغم معارضة معظم دول العالم لقرار الرئيس بوش في استمرار الحرب على العراق، إلا أنه ظل يؤكد في كل مناسبة على أنه غير نادم على قرار الحرب، بل إنه فخور بقيامه بهذه الحرب، والحقيقة إن ندم الرئيس بوش لم يكن ليفيد في شيء، فهو لن يغير الأضرار الجسيمة التي لحقت بالعراق وشعبه، كما لن يغير شيئًا في مشاعر كل الذين تأذُّوا جسمانيًّا ونفسيًّا، فالحرب أصبحت أمرًا واقعًا لا يمكن تغييره، ولا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها.

والرئيس بوش ظل يؤكد دائمًا على أنه سيستمر في هذه الحرب حتى النهاية، وهذا إما لشخصيته التي تتسم بالغباء

والعناد في وقت واحد، أو لأنه كان يعلم جيدًا أن طريق الاستمرار في هذه الحرب أسهل من طريق العودة؛ لأن طريق العودة شائك ومحفوف بالمخاطر، بحيث لن يستطيع هو تحمل عواقبه الوخيمة.

وقد بدأ الرئيس جورج بوش يحصد نتائج حربه غير المشروعة على العراق، ولكن بعد فوات الأوان، حيث انخفضت شعبيته بصورة كبيرة، فالشعب الأمريكي عرف خطأه بانتخاب الرئيس بوش، لكن بعد فوزه بفترة رئاسية أخرى، ودليل ذلك أن كل استطلاعات الرأي خلال الفترة الرئاسية الثانية لبوش أكدت على انخفاض تدريجي في شعبيته، حتى وصلت لأقل من ٣.% من نسبة الأصوات الانتخابية في الولايات المتحدة كلها، كما بدأت العديد من الأصوات الشريفة داخل الحزب الجمهوري الذي ينتمي إليه الرئيس بوش تطالبه بسحب الجنود الأمريكيين من العراق، وذلك حفاظًا على ما تبقى من ماء الوجه لدى الحزب الجمهوري، ولكن حدث هذا أيضًا متأخرًا؛ لأنه حدث في الوقت الضائع للرئيس بوش، حيث كانت الولايات المتحدة قد بدأت سباق الرئاسة الجديد، ومما زاد موقف الحزب الجمهوري سوءًا هو فوز الحزب الديمقراطي في مجلسي النواب والشيوخ في انتخابات التجديد النصفي للكونجرس الأمريكي نوفمبر ٢٠٠٦، والتي تولت فيها الديمقراطية نانسي بيلوسي رئاسة مجلس النواب.

ومنذ فوز الحزب الديمقراطي في الانتخابات والرئيس الأمريكي جورج بوش الابن يواجه مشاكل كثيرة لكنها غير مؤثرة؛ حيث رفض الكونجرس الأمريكي خطة بوش لزيادة أعداد الجنود الأمريكيين في العراق، وكان من بين الرافضين أحد النواب الجمهوريين، ولكن هذا القرار كان غير ملزم لبوش، كما صوت كل من مجلسي الشيوخ والنواب بأغلبية على قرار يقضي بجدولة انسحاب القوات الأمريكية من العراق في مقابل الموافقة على تمويل الحرب، ولكن الرئيس الأمريكي رفض هذا القرار، وهدد بفيتو رئاسي في حالة موافقة الكونجرس على هذا القرار، وبالفعل أصدر الرئيس بوش قرارًا ضد ربط تمويل الحرب على أفغانستان والعراق بجدول زمني، وفي النهاية استسلم الكونجرس للأمر الواقع، ووافق على مشروع قرار بتمويل الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان دون تحديد جدول زمني.

والقصور في الدستور الأمريكي هو الذي أعطى الفرصة للرئيس بوش لكي يتمادى في أفعاله الإجرامية التي يرتكبها ضد الشعب العراقي والأفغاني، فالفيتو الرئاسي كان يعترض طريق أي محاولة لإيقاف الرئيس بوش عن الحرب غير المشروعة التي خاضها بحجة تأمين الولايات المتحدة من خطر الإرهاب الخارجي، والذي خص به الرئيس بوش الشعوب العربية والإسلامية فقط.

سقوط التحالف الأنجلو أمريكي في العراق:

اشتركت أربع دول كبيرة مع الولايات المتحدة في الحرب على العراق، هي إيطاليا وإسبانيا وأستراليا وبريطانيا التي تعتبر الحليف الأول للولايات المتحدة الأمريكية على طول الطريق؛ لأنها تعتبر نفسها مسئولة تاريخيًّا عنها، فالولايات المتحدة خرجت من تحت العباءة البريطانية، كما شاركت العديد من الدول الصغيرة التي يتجه ولاؤها أو مصالحها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مثل اليابان والدانمارك وجورجيا وكوريا الجنوبية، وغيرها من البلاد الأخرى.

وقد ظلت الأوضاع هادئة بالنسبة للتحالف الأنجلو أمريكي في العراق، حتى حدثت تفجيرات مدريد، التي أودت بحياة مائتي شخص من المدنيين في مارس ٢٠٠٤، وقد نتج عنها هزيمة رئيس الوزراء الإسباني خوسيه ماريا آزنار في الانتخابات، والذي كان من أكثر المؤيدين للحرب على العراق، بالرغم من رفض معظم الشعب الإسباني الاشتراك فيها، وفاز في هذه الانتخابات رئيس الوزراء الإسباني الجديد خوسيه لويس ثاباتيرو، والذي تسلّم مهام منصبه في إبريل ٢٠٠٤، وأعلن بعدها مباشرة عن حق القوات الإسبانية في العودة لبلادها في أقرب وقت ممكن؛ حيث كان هذا القرار هو أحد وعوده الانتخابية للشعب الإسباني، والذي كان من الأسباب الرئيسية وراء فوزه.

أما ما يدعو للسخرية، هو أنه عقب الإعلان عن فوز رئيس الوزراء الإسباني خوسيه ثاباتيرو، وقبل أن يتولّى مهام منصبه بشكل رسمي، أرسلت الإدارة الأمريكية وزير خارجيتها كولن باول إلى إسبانيا في مهمة وضيعة، حيث أكد لثاباتيرو استعداد واشنطن لاستصدار قرار من الأمم المتحدة يسمح له بالتخلي عن وعوده الانتخابية بخصوص سحب القوات الإسبانية من العراق، وهو المطلب الذي قوبل برفض قاطع من جانب رئيس الوزراء الإسباني، ورجع وزير الخارجية الأمريكي لبلاده بخُفَّيْ حنين، وهو يجر وراءه أذيال الهزيمة وخيبة الأمل.

ولا أعرف حقيقةً ما الذي جعل الإدارة الأمريكية تتذكر الأمم المتحدة في هذا الوقت بالتحديد، بعد أن ضربت بالشرعية الدولية عرض الحائط، وتجاهلت دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن في قرارها بالحرب على العراق.

إن اشتراك إسبانيا في الحرب على العراق لم يكن بالقرار الصائب أو المقنع؛ لأنه كان من الأولى بها أن تواجه مشاكلها الداخلية المتعلقة بالإرهاب، والتي تتسبب في خسائر مادية وبشرية كبيرة كل عام، بدلًا من اشتراكها في حرب بدعوى القضاء على الإرهاب، حيث يوجد في إسبانيا جماعة إيتا الانفصالية التي تطالب باستقلال إقليم ألباسك عن إسبانيا، وهذه الجماعة تعتبرها السلطات الإسبانية جماعة إرهابية؛ لأنها تستهدف المدنيين وتهدد استقرار البلاد.

أما إيطاليا، فقد شاركت في الحرب على العـــراق؛ حيـــث كان رئيس وزرائها سلفيو برلسكوني من أكثـــر المتحمـــسين لسياسة الولايات المتحـــدة العدائيـــة تجـــاه الـــدول العربيـــة والإسلامية، وظلت المشاركة الإيطالية في الحرب على العـــراق تسير بشكل طبيعي حتى مارس ٢٠٠٥، عندما قامت القـــوات الأمريكية بقتل ضابط مخابرات إيطالي ذهب إلى العراق ليحرر رهينة إيطالية كانت محتجزة لدى المقاومة العراقية، والتي كانت تهدف من وراء احتجازها الضغط على الحكومة الإيطالية حتى تقوم بسحب قواتها من العراق، وقد نجح ضابط المخـــابرات في مهمة تحرير الرهينة، وعندما كان في طريقه إلى المطار للعـــودة إلى بلاده مرة أخرى ومعه الرهينة، هاجمته القوات الأمريكيـــة وأردته قتيلًا، وأصابت الرهينة والسائق الذي كـــان يقلـــهما إصابات خطيرة، وقد حدث ذلك على الرغم من أن القـــوات الأمريكية كانت على علم مسبق بموعد مرور الضابط الإيطالي والرهينة، وبررت القيادة الأمريكية ما حـــدث بأنـــه نتيجـــة للضغوط النفسية الكبيرة التي يتعرض لها الجنود الأمـــريكيين في العراق، حيث أنه قبل مرور الضابط الإيطالي بساعات قليلـــة كان موكب السفير الأمريكي في العراق قد تعرض لهجوم مـــن قبل المقاومة العراقية في نفس طريق المطار.

ولقد تسببت هذه الواقعة في حدوث شرخ عميق بين الإدارة الأمريكية والحكومة الإيطالية؛ بسبب رفض البنتاجون الأمريكي إعطاء المخابرات الإيطالية تقريرًا كاملًا عن أسباب ما حدث، وهو ما جعل الشعب الإيطالي يخرج للتظاهر ليعبر عن رفضه الاستمرار في هذه الحرب، التي تزداد فيها الخسائر الإيطالية يومًا بعد آخر.

وبالرغم من كل ما حدث إلا أن رئيس الوزراء الإيطالي برلسكوني لم يعطِ أية وعود لشعبه بشأن عودة الجنود الإيطاليين من العراق، ولقد صرَّح برلسكوني في نوفمبر ٢٠٠٥ بأنه حاول أن يثني الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن عن غزو العراق لكن دون جدوى، وقد أثار ذلك حفيظة الشعب الإيطالي ضده بسبب خداعه لهم، فكيف يصرِّح بمحاولته إثناء الرئيس الأمريكي عن غزو العراق، وفي نفس الوقت يشارك في هذه الحرب.

ولقد جاء رد الشعب الإيطالي سريعًا حيث أسفرت الانتخابات الإيطالية في إبريل ٢٠٠٦ عن هزيمة سلفيو برلسكوني وفوز رومانو برودي رئيس كتلة يسار الوسط، ورئيس وزراء إيطاليا سابقًا، والذي أكَّد عقب فوزه مباشرة على أنه سيقوم بالبدء في سحب الجنود الإيطاليين من العراق بعد تشكيل الحكومة الجديدة، وبالفعل أوفى برودي بوعده، وسحبت إيطاليا آخر جنودها من العراق في ديسمبر ٢٠٠٦.

شاركت أستراليا هي الأخرى في الحرب الأمريكية على العراق، واتخذ قرار المشاركة رئيس الوزراء الأسترالي جون هوارد، بالرغم من المعارضة الشعبية الكبيرة التي واجهها، لدرجة أن الشعب الأسترالي لقّبه بكلب بوش؛ لأنه كان ينصاع لأوامره دون تفكير، وقد برر رئيس الوزراء الأسترالي مشاركته في الحرب بأنها جاءت من أجل القضاء على الإرهاب، حيث كان قد قتل عشرات من الأستراليين في تفجيرات بالي بأندونيسيا في أكتوبر ٢٠٠٢، ولكن وزير الدفاع الأسترالي كشف عن كذب ادعاءات رئيس وزراء أستراليا جون هوارد، عندما صرح في يوليو ٢٠٠٧ بأن اشتراك بلاده في الحرب كان بهدف تأمين احتياجات البترول، وليس بهدف الإطاحة بنظام صدام حسين، وهو ما نفاه جون هوارد بشدة.

وقد قال الشعب الأسترالي كلمته؛ حيث أسفرت الانتخابات الأسترالية في نوفمبر ٢٠٠٧ عن هزيمة جون هوارد رئيس حزب المحافظين هزيمة ساحقة، وفوز كيفين رود رئيس حزب العمال، برئاسة وزراء أستراليا، والذي أعلن عقب فوزه بأنه سيقوم بسحب القوات الأسترالية من العراق على الفور.

أما عن بريطانيا، الحليف الأول للولايات المتحدة في العالم؛ فقد شاركت في الحرب على العراق كثاني أكبر قوة بعد الولايات المتحدة، وقد قاد رئيس الوزراء توني بلير بلاده في

هذه الحرب بالرغم من المعارضة الشعبية والبرلمانية التي واجهها، ولُقّب توني بلير بالتابع؛ بسبب انسياقه الأعمى وراء قـــرارات الإدارة الأمريكية برئاسة جورج بوش.

ولقد انخفضت شعبية رئيس الوزراء البريطاني توني بلير بعد الكشف عن عدم صحة التقارير البريطانية الخاصة بشراء العراق كميات من اليورانيوم المشع من نيجيريا تكفي لصناعة أكثر من قنبلة نووية، وهو السبب الرئيسي الذي ادَّعت بريطانيـــا أنهـــا شاركت في الحرب من أجله، وقد صرح توني بلير في يوليـــو ٢٠٠٤ لأول مرة منذ بدء الحرب بأنه قد لا توجد أسلحة دمار شامل في العراق، ومما زاد الوضع سوءًا بالنسبة لرئيس الوزراء البريطاني الكشف عن تورط جنود بريطانيين في فضائح أخلاقية في العراق، وكذلك اعتراف الجيش البريطاني باستخدام أسلحة محرمة دوليًّا في التعامل مع المقاومين العراقيين، منها الفـــسفور الأبيض الحارق.

وبتزايد ضغط البرلمانيين على توني بلير قـــرر في النهايـــة أن يقدِّم استقالته، حيث استقال من رئاسة حزب العمال في مـــايو ٢٠٠٧، وتولّى جوردون براون رئاسة الحزب بدلًا منه، ثم قدم بلير استقالته من رئاسة الوزراء لملكة بريطانيا في يونيو ٢٠٠٧، وأصبح جوردون براون رئيس الوزراء الجديد، والحقيقة إن بلير وبراون لا يختلفان كثيرًا، فكلاهما يؤمن بأن الحرب على العراق

كانت ضرورة، إلا أن براون كان يعلم جيدًا خطورة استمرار وجود الجيش البريطاني في العراق، مما جعله يعلن عن انسحاب جزئي للقوات البريطانية من العراق، حيث انسحبت القوات البريطانية من مدينة البصرة العراقية في سبتمبر ٢٠٠٧، وقد برر براون هذا الانسحاب المفاجئ بقوله إنه كان منظمًا له، ولم يأت نتيجة لفشل قواته في العراق، وذلك ليحافظ على وضع بريطانيا أمام العالم؛ لأن اعترافه بالفشل كان سيترتب عليه مشاكل عديدة في الداخل والخارج، ففي الداخل كان حزب العمال البريطاني سيفقد جزءًا كبيرًا من شعبيته، مما قد يؤدي لهزيمته في أول انتخابات يتم إجراؤها، وفي الخارج كانت بريطانيا ستفقد وضعها كدولة عظمى؛ لأن فشلها يعني انهيارها، وقد تم تحديد نهاية يونيو ٢٠٠٦ كموعد نهائي لانسحاب القوات البريطانية وغيرها من القوات الأخرى المشاركة في الحرب، وذلك بعد انتهاء الفترة التي حددها مجلس الأمن للتواجد العسكري في العراق.

لم يكن التحالف الأنجلو أمريكي للحرب على العراق هو الذي سقط فحسب؛ حيث سقط صقور الإدارة الأمريكية واحد تلو الآخر، وكان أولهم بول أونيل وزير المالية، الذي أقيل من منصبه - وقيل إنه قدم استقالته - بسبب معارضته للسياسة الخارجية الأمريكية، والذي اعترف بعد ذلك بأن

الرئيس بوش دخل البيت الأبيض وفي نيته غزو العراق؛ أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وغزو أفغانستان، وبدعة الحرب على الإرهاب.

أما جورج تينت مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية التي قدمت المعلومات الخاصة بامتلاك العراق أسلحة دمار شامل؛ فقد كان ثاني من تمت الإطاحة بهم، حيث قدم استقالته في يوليو ٢٠٠٤، وذلك لأسباب شخصية على حسب الرواية الأمريكية التي أصبح العالم أجمع يعلم مدي كذبها وخداعها، وقد اعترف تينت في إبريل ٢٠٠٧ أن قرار الحرب على العراق كان خاطئًا، وأنه تمت الإطاحة به ليكون كبش فداء للرئيس بوش، وأعلن أيضًا أن ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي قام بحذف عبارة عدم الربط بين العراق وتنظيم القاعدة من خطاب الرئيس بوش الذي ألقاه قبل الحرب على العراق، وكان التقرير النهائي الذي أصدره الكونجرس الأمريكي عن أحداث سبتمبر قد أكد على عدم وجود علاقة بين النظام العراقي وتنظيم القاعدة، وأن العراق ليست له علاقة من قريب أو بعيد بأحداث سبتمبر، وقد صرَّح جورج تينت في كتابه (في قلب العاصفة) أن الإدارة الأمريكية بدأت في الإعداد لمبررات الحرب على العراق في ديسمبر ٢٠٠٢، وأنه قد حدث تصادم بينه وبين كونداليزا رايس ونائبها حول من يتحمل مسئولية الحرب

على العراق، وبسبب ذلك قال: إن علاقتي مع الإدارة قد تغيرت إلى الأبد.

وقد أطيح أيضًا بكولن باول وزير الخارجية الأمريكي في الفترة الرئاسية الأولى لجورج بوش، ولكن بطريقة دبلوماسية؛ حيث تم الاستغناء عنه بعد فوز الرئيس بوش بفترة رئاسية ثانية، وتم تعيين كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي السابقة بدلًا منه، وصرَّح باول بعد خروجه من الإدارة الأمريكية بأن خطابه عام ٢٠٠٣ عن أسلحة الدمار الشامل العراقية هو وصمة عار في تاريخه، حيث كان باول قد هوَّل من خطورة أسلحة الدمار الشامل العراقية، وأكَّد على امتلاك العراق أسلحة دمار شامل منطورة للغاية.

أما وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد - أكثر المقربين من الرئيس جورج بوش، والذي لعب دورًا مهمًّا في قرار الحرب على العراق، فقد قدم استقالته في نوفمبر ٢٠٠٦، عقب هزيمة الجمهوريين في انتخابات الكونجرس الأمريكي بمجلسيه الشيوخ والنواب.

وفي مارس ٢٠٠٨ قدَّم قائد القوات الأمريكية في العراق وأفغانستان وليام فالون استقالته، وذلك بعد تسريب أنباء عن وجود خلاف بينه وبين الرئيس الأمريكي؛ لرفضه لسياسات الرئيس بوش في العراق وأفغانستان.

أما سكوت ماكليلان المتحدث السابق باسم البيت الأبيض؛ فقد اعترف في مايو ٢٠٠٨ في كتابه (ماذا حدث داخل البيت الأبيض) بأن كل ما كان يقوله أكاذيب ومحض افتراء، وقد كان ماكليلان من أقرب المقربين للرئيس بوش، ولكنه قرر كشف الحقيقة بعد خروجه من البيت الأبيض؛ ليكشف مدى الأكاذيب التي روَّجت لها الإدارة الأمريكية في العالم، لقد وقع سكوت ماكليلان في شر أعماله، حين اعترف بأن التصريحات التي كان يخرج علينا بها كل يوم من داخل البيت الأبيض كاذبة؛ لأنه اعترف على نفسه بالكذب والخيانة، وهذا يدل على الغباء السياسي الذي لا يتمتع به الرئيس بوش وحده، ولكن كل المقربين منه، فالطيور على أشكالها تقع.

وتضحية الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن بأقرانه ورفقائه في حربه المزعومة على الإرهاب هي أكبر دليل على وجود خلل نفسي في شخصية الرئيس بوش، الذي لم يتردد لحظة في التنكيل بأصدقائه من أجل أن يستمر هو في منصبه بعد أن زادت فضائح الإدارة الأمريكية، فالرئيس بوش كان مصابًا بجنون العظمة وهوس الشهرة، وقد قاده ذلك ليصبح خليفة هتلر النازي وموسليني الفاشي في القرن الحادي والعشرين.

الوضع السياسي

في العراق



بعد سقوط بغداد في أيدي قوات التحالف الأنجلو أمريكي كان أول ما قامت به الإدارة الأمريكية هو تعيين حاكم مدني أمريكي للعراق هو بول بريمر، وذلك حتى استقرار الأوضاع والاتفاق على الكيفية التي ستكون عليها الحكومة العراقية، وبعد ذلك بفترة قصيرة تم تشكيل مجلس مؤقت للحكم العراقي، وتم اختيار جميع أعضائه بعناية فائقة، ممن يعرف عنهم ولائهم وانتمائهم للولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث إن معظم من وقع عليهم الاختيار كانوا ممن تلقّوا تعليمهم في الولايات المتحدة والدول الأوربية، فهم متأثرين بالثقافة الغربية بشكل كبير، والحقيقة إن مجلس الحكم العراقي لم يكن إلا هيئة تنفّذ كل ما يملى عليها من جانب الإدارة الأمريكية، حيث لم تكن له سلطة فعلية في العراق، فجميع القرارات كانت في أيدي الحاكم المدني الأمريكي للعراق بول بريمر.

وقد اقتضت الضرورة نقل السلطة للعراقيين حتى تكون لهم سلطة شرعية تمثلهم في جميع المحافل والمؤتمرات الدولية، ولهذا قدمت الولايات المتحدة وبريطانيا مشروع قرار للأمم المتحدة في الثامن من يونيو ٢٠٠٤، يقضي بنقل السيادة للشعب العراقي في موعد أقصاه الثلاثين من يونيو ٢٠٠٤، وقد وافق جميع الأعضاء على هذا المشروع، والإدارة الأمريكية لم تكن لتفعل ذلك إلا إذا كانت على يقين من أن العراق سيظل تحت سيطرتها في ظل الحكومة العراقية الجديدة التي ستسلم منها السيادة، وبالفعل تم تسليم السلطة للعراقيين قبل الموعد المحدد

بيومين، ورجع الحاكم المدني الأمريكي للعراق بول بريمر للولايات المتحدة في سرية تامة دون أن يتم توديعه بشكل رسمي؛ مما يدل على أن الأوضاع الأمنية في العراق كانت متدهورة بدرجة كبيرة.

وتم تشكيل حكومة عراقية مؤقّتة برئاسة إياد علاوي، وكان أول قرار اتخذته هذه الحكومة عقب توليها السلطة هو إعلان قانون السلامة الوطنية في البلاد، والذي كانت تهدف من ورائه تقويض المقاومة العراقية التي تكبِّد قوات الاحتلال خسائر كبيرة، فهذا القانون كان يصب في مصلحة قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي، حيث أنه يمكن من خلاله إعلان حالة الطوارئ وحظر التجوال، وإغلاق بعض المدن العراقية إذا لزم الأمر، فالحكومة العراقية المؤقتة كانت واجهة لقوات الاحتلال، فهي تنفّذ القوانين والأوامر التي يمليها عليها الجانب الأمريكي دون مناقشة، لكن الشعب العراقي لم ينخدع بهذه الحكومة العميلة وطالب بتغييرها، وتحت هذا الضغط الشعبي تم تشكيل حكومة عراقية جديدة في إبريل ٢٠٠٥ برئاسة جلال طالباني، وهو عراقي كردي، أما رئاسة الوزراء فكانت من نصيب إبراهيم الجعفري، وهو عراقي شيعي، وتم اختيار نائبه الأول شيعي أيضًا، أما العراقيين السنة فقد تم تجاهلهم عن عمد بهدف الانتقام؛ حيث كان النظام العراقي السابق برئاسة صدام حسين سني، ولقد بدأت هذه الحكومة الجديدة في مايو ٢٠٠٥ بكتابة الدستور العراقي، وسط غياب السنة الذين احتجوا على

تهميش دورهم عند تشكيل الحكومة، وقبل الإعلان عن البدء في كتابة الدستور العراقي الجديد، كانت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس قد قامت بزيارة مفاجئة للعراق، اجتمعت خلالها بالرئيس جلال طالباني، ورئيس الوزراء إبراهيم الجعفري؛ مما يؤكد أن هذه الزيارة كانت لإملاء الأوامر الأمريكية على الحكومة العراقية فيما يخص الدستور العراقي، الذي تم الانتهاء من كتابته في سبتمبر ٢٠٠٥ وسط رفض سنِّي للفيدرالية التي دعمها الدستور العراقي الجديد، حيث أكد هذا الدستور على ضرورة وجود حكومة لامركزية في العراق، مما يتيح الفرصة لحدوث انقسامات حادة؛ لأن العراق عبارة عن ثلاث مناطق، مقسمة بين الأكراد في الشمال، والسنة في الوسط، والشيعة في الجنوب، والحكومة اللامركزية تعني تقطيع أوصال العراق بين أجزائه الثلاثة، وضياع حقوق الأقليات الأخرى، ولقد جاء الرفض السني بهدف الحفاظ على وحدة العراق وهويته، وتم إجراء العديد من التعديلات المتلاحقة بعد ذلك على الدستور العراقي، لكنها لم تكن ذات أهمية؛ فهي لم تغير شيئًا محوريًّا، حيث كانت هذه التعديلات مجرد شكليات لم تتطرق لقضايا الخلاف الحقيقية في الدستور.

ولقد تم طرح الدستور العراقي الجديد للاستفتاء الشعبي عليه في أكتوبر ٢٠٠٥، وكانت نسبة الموافقة عليه ٧٨,٥% من إجمالي نسبة الأصوات الانتخابية في العراق على حسب الرواية

الحكومية، وقد تم التشكيك في نتائج هذا الاستفتاء؛ لأنه حدث في ظل وجود قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي في العراق، والتي كانت لديها رغبة في تمرير هذا الدستور؛ لأنه معد تبعًا لأهواء ومصالح الإدارة الأمريكية.

بعد الانتهاء من مرحلة إقرار الدستور العراقي، تم الإقدام على مرحلة تشكيل برلمان عراقي في ديسمبر ٢٠٠٥؛ حيث لم يتم تشكيل برلمان عراقي منذ بدء الاحتلال الأنجلو أمريكي للعراق، وقد تمت إجراءات تشكيل برلمان عراقي على مرحلتين، المرحلة الأولى كانت في الأماكن التي سيكون من الصعب على الأشخاص الموجودين فيها الذهاب للإدلاء بأصواتهم، مثل المستشفيات والسجون، أما المرحلة الثانية فشملت كل العراقيين ممن لهم أصوات انتخابية، وظهرت نتائج هذه الانتخابات بعد مرور أكثر من شهر على التصويت فيها، وقد أسفرت عن فوز قائمة الائتلاف العراقي الموحَّد، حيث حصل الأكراد على ١٢٨ مقعدًا، والشيعة على ٥٣ مقعدًا، أما السنة فقد حصلوا على أقل عدد من المقاعد، وهو ٤٤ مقعدًا، ولاقت هذه النتائج رفضًا من الجانبين السني والشيعي؛ لأن الأكراد حصلوا على أغلبية مطلقة تتعدَّى عدد مقاعد السنة والشيعة معًا، مما قد يمكِّنهم من تمرير قوانين تساعدهم على تحقيق الحلم الكردي الدفين بالانفصال عن العراق، ولهذا كانت هناك ضرورة لتكوين ائتلاف سني وشيعي مع قوائم أخرى من أجل الحفاظ على وحدة العراق وهويته، وقد تم التشكيك في

نتائج هذه الانتخابات لعدة أسباب، أهمها أنها حدثت في ظل وجود الاحتلال، ومع استمرار تدهور الأوضاع الأمنية في المناطق السنية والشيعية، مما لم يمكّن معظم المواطنين من الإدلاء بأصواهم في هذه الانتخابات، كما أن طول الفترة بين إجراء التصويت وظهور نتائج هذه الانتخابات جعلها عرضة لإمكانية التزوير والتشكيك.

وبعد الانتهاء من تشكيل البرلمان العراقي الجديد قامت قائمة الائتلاف الموحد، التي فازت في الانتخابات بعمل اقتراع سري لاختيار أول رئيس وزراء عراقي في حكومة دائمة بعد سقوط النظام العراقي السابق، ووقع اختيارها على اسم إبراهيم الجعفري، الذي لم تدم أيامه في رئاسة الوزراء طويلًا؛ حيث كان هناك خلاف كبير حول شخصه، ولهذا تم الإعلان عن فتح باب الترشح لرئاسة الوزراء، وتقدم أكثر من مرشح بينهم الجعفري، لكن المرشح الأكثر قوة كان مرشح قائمة الائتلاف العراقي الموحَّد جواد المالكي، المعروف باسم نوري المالكي، والذي كانت فرصته في الفوز كبيرة، وأمام شعبية المالكي الطاغية اضطر الجعفري من سحب أوراق ترشحه، وبعدها تم الاتفاق على اسم نوري المالكي ليصبح رئيس الوزراء العراقي الجديد في أول حكومة عراقية دائمة.

وقد كانت أمام المالكي مهمة جسيمة يجب الانتهاء منها بسرعة، وهي مهمة تشكيل حكومة عراقية، وبدأ المالكي مباشرة عقب توليه رئاسة الوزراء بشكل رسمي في اختيار

المرشّحين للحقائب الوزارية المختلفة، وقـام بطرحهـا علـى البرلمان العراقي أكثر من مرة، وفي كل مرة كان يجـد خلافًـا حول بعض الأسماء المرشحة، حتى تمكن في ٢٠ مـايو ٢٠٠٦ من الانتهاء من تشكيل حكومة عراقية كاملة؛ إلا مـن وزارتي الدفاع والداخلية، وأخذ موافقة البرلمان عليها بعد الاتفاق على جعل وزارتي الدفاع والداخلية لوزيران مستقلان، يتم تعينهما في وقت لاحق بعد موافقة البرلمان العراقي عليهما.

بعد انتهاء المالكي من تشكيل الحكومة العراقية كاملة وأخذ موافقة البرلمان العراقي على جميع أعضائها، أقدم على خطـوة جديدة، وهي عرض مشروع للمصالحة الوطنية في العراق على البرلمان العراقي، والذي يقضي بضم المقاومة لصفوف الجـيش وانخراطهم في الحياة العادية، ما عدا من يثبـت تـورطهم في جرائم قتل، ولكن هذا المشروع لم يلاقِ ترحيبًا كبيرًا داخـل البرلمان، ورفضته هيئة علماء المسلمين السنة، ولكن المـالكي لم ييأس أبدًا من مشروعه، وتم عقد العديد من المؤتمرات من أجل هذا المشروع بحضور جميع الطوائف العراقية، ولكنها انتـهت كلها دون الاتفاق والتوصل لأي نتائج فعلية.

وبسبب اعتراض هيئة علماء المسلمين على مشروع المصالحة الوطنية الذي قدمه نوري المالكي، تم صدور أمر باعتقال الشيخ حارث الضاري الأمين العام للهيئة، والذي يتمتع بشعبية كبيرة لدى المسلمين السنة في العراق، وقد صدر أمـر الاعتقـال في نوفمبر ٢٠٠٦، بتهمة تكريس العنف والطائفية، والحقيقـة أن

الاستمرار في اعتقال الضاري هو الذي كان سيؤدِّي لحدوث فتنة طائفية؛ لأنه زعيم وطني معروف بمواقفه الوطنية في مواجهة قوات الاحتلال، وكان أول رد فعل لاعتقال الضاري هو إعلان جبهة التوافق السنية انسحابها من البرلمان العراقي، ولكنها عادت مرة أخري بعد الإفراج عنه في يوليو ٢٠٠٧، بعد ذلك قررت جبهة التوافق تعليق مشاركتها في الحكومة لحين تحقيق مطالبها بخصوص زيادة صلاحيتها في الحكومة، وحل قضية المعتقلين العراقيين في السجون والإفراج عنهم، بعد تزايد الانتهاكات بحقهم، والتراجع عن دمج المليشيات المسلحة في الجيش العراقي الذي جاء ضمن مشروع المصالحة الوطنية للمالكي، وبسبب عدم تجاوب الحكومة مع مطالب جبهة التوافق أعلنت الجبهة انسحابها من الحكومة بوزرائها الستة، ولكن المالكي رفض قبول الاستقالة، إلا أن هذا الرفض لم يكن ذا أهمية؛ حيث حدث في اليوم التالي لاستقالة وزراء جبهة التوافق ما لم يخطر على عقل المالكي، وذلك عندما أعلن سبعة عشر وزيرًا انسحابهم من حكومة المالكي من أصل أربعة وثلاثين وزيرًا؛ أي النصف، مما يعني أن الحكومة لم تعد تمثل كافة الطوائف العراقية، ولكن المالكي لم يأخذ وقتًا كبيرًا في التفكير للخروج من هذا الموقف، حيث أعلن عن تكوين تحالف بين حزبه الشيعي وحزبين كرديين كبيرين، بالإضافة للكتلة الصدرية، وذلك لتشكيل تحالف جديد في الحكومة، وقد أعلنت العديد من الجهات عن رفضها لهذا التحالف، من بينها

معظم الكتل الشيعية الصغيرة التي صرحت بأن هذا التحالف سوف يزج بالعراق نحو مزيد من الطائفية والعنف، وبعد أقل من شهر أعلنت الكتلة الصدرية عن انسحابها من الائتلاف الشيعي مع المالكي، وردًا على تحالف المالكي مع الأكراد تم تشكيل تحالف سني وشيعي لإيقاف أي خطوة يقدم عليها الأكراد من أجل الاستفتاء على إقليم كركوك الذي يرغب الأكراد في السيطرة على جميع موارده النفطية.

وبعد كل هذا الخلاف على مشروع المصالحة الوطنية للمالكي أقر البرلمان العراقي قانون العفو، ولكن بشكل جزئي، وليس عامًا كما أراد المالكي، الذي وقع في أخطاء جسيمة بسبب حيرته بين تنفيذ مطالب الإدارة الأمريكية والعمل لصالح العراق وشعبه.

والحقيقة أن أي حكومة عراقية سيتم تشكيلها في ظل استمرار وجود الاحتلال الأنجلو أمريكي للعراق لا يمكن اعتبارها حكومة شرعية تمثل الشعب العراقي؛ لأنه مهما صدر عنها من قرارات في صالح دولة العراق فسيظل هناك اتهام دائم لها بالعمالة؛ لأنها تعمل تحت قيادة قوات الاحتلال، مما يعني أنها لا تعبر عن الشعب العراقي، وهذا ما يؤكده لنا التاريخ، فالحكومات التي عملت في ظل وجود المحتل - في جميع البلاد التي كانت واقعة تحت طائلة الاحتلال - تم اتهامها بالخيانة والتعامل مع المحتل؛ لأن مجرد عمل هذه الحكومات في ظل وجود الاحتلال يعني الموافقة على استمرار الاحتلال.

كما أن الدستور العراقي الذي تم إقراره في ظل وجود الاحتلال الأنجلو أمريكي للعراق لا يمكن الأخذ به؛ لأنه لم ينبع من إرادة الشعب العراقي، ولكنه جاء محققًا لأهداف قوات الاحتلال وحكوماتها، ولهذا فإن الشعب العراقي الحر ستكون عليه مهمة كبيرة بعد انتهاء الاحتلال الانجلو أمريكي، وهي مهمة كتابة دستور عراقي جديد يكون معبرًا عن إرادة الشعب العراقي ومتطلباته، ومحققًا لوحدة العراق واستقراره.

وهناك العديد من الشخصيات العراقية التي برزت في وجود الاحتلال الأمريكي، مثل الزعيم الشيعي مقتدى الصدر، والزعيم السني حارث الضاري، والزعيم الكردي مسعود البرزاني، وكان لكل منهم دوره في تغيير مسار الحرب على العراق.

- الزعيم الشيعي مقتدى الصدر: هو شاب صغير السن، وكان لوالده مكانة كبيرة عند الشيعة في فترة النظام العراقي السابق، وقد ورث مقتدى الصدر عن والده الزعامة بعد مقتله، وتأتي أهمية مقتدى الصدر من خلال انضمام آلاف المسلمين الشيعة في العراق لجيش المهدي التابع له، حيث يعتبر مقتدى الصدر قائد قوات جيش المهدي والمحرك الرئيسي له.

وفي بداية الحرب الأنجلو أمريكية على العراق كانت ميليشيا جيش المهدي تذيق قوات الاحتلال مرارة الهزيمة،

وتسببت في خسائر كبيرة لهم مما جعل الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن يعلن في إبريل ٢٠٠٤ عن ارتباط مقتدى الصدر بحركة حماس الفلسطينية وحزب الله اللبناني، وكانت الإدارة الأمريكية قد أدرجت في وقت سابق هذه المنظمات ضمن المنظمات الإرهابية التي يجب القضاء عليها؛ لأنها تهدد الأمن والسلم العالمي، والذي تقصد به الإدارة الأمريكية أمن إسرائيل.

وظلت المواجهة بين ميليشيا جيش المهدي والقوات الأمريكية فترة طويلة، وكانت أقصى هذه المواجهات ضراوة هي المواجهات الدامية التي حدثت في أغسطس ٢٠٠٤ في مدينة النجف – المقدسة عند الشيعة، وقد استمرت هذه المواجهات لعدة أسابيع، سقط خلالها عشرات الضحايا من الجانبين، وكانت قوات من الشرطة العراقية تساند قوات الاحتلال الأمريكي خلال هذه المواجهات، حتى تمكنت قوات الاحتلال من حصار منزل مقتدى الصدر، مما زاد من وطيس المعركة التي انتهت دون وصول جنود الاحتلال لهدفهم في القضاء على مقتدى الصدر أو جيش المهدي.

لكن السيد مقتدى الصدر غير توجهّاته بعد ذلك، وبدأ في الانخراط في الحياة السياسية العراقية من خلال تواجد الكتلة الصدرية في الحكومة والبرلمان العراقي؛ حيث كانت قد تمت

بينه وبين بعض قادة قوات التحالف توصلوا فيها لاتفاق حول وقف إطلاق النار بين الجانبين، بحيث يعلّق مقتدى الصدر عمل قوات جيش المهدي لفترة، كما تعلّق قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي عملياتها ضد جيش المهدي، وظلت هناك حالة من الشد والجذب بين قوات الاحتلال وميليشيا جيش المهدي، فتارة تشتعل الحرب بينهما وتارة أخرى يتم عمل اتفاق للتهدئة.

إن الإدارة الأمريكية للرئيس بوش التي أعلنت أن مقتدى الصدر إرهابي، هي نفس الإدارة التي وضعت يدها في يده لتأمن المواجهات الدامية مع ميليشيا جيش المهدي؛ مما يدل على أن إدارة الرئيس بوش لم يكن لديها ثوابت، فقد كانت مستعدة للتحالف مع الشيطان إن كان هذا في مصلحتها.

- الزعيم السني حارث الضاري: وهو الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق، وهو شيخ كبير له شعبية طاغية في الأوساط السنية العراقية، فهم يحترمونه ويقدرونه، وله أيضًا العديد من المواقف في مواجهة قوات الاحتلال، حيث أنه كان من أوائل المطالبين بضرورة إنهاء الاحتلال الأنجلو أمريكي للعراق بسرعة، وهو يقف ضد أي مشروع يمكن أن يضر بمصلحة العراق ويقضي على هويته، حتى أنه اعتقل بسبب رفضه لمشروع رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي للمصالحة

الوطنية، والذي ترتّب عليه تعليق جبهة التوافق لمشاركتها في الحكومة كما ذكرنا من قبل.

- الزعيم الكردي مسعود البرزاني: وهو زعيم إقليم كردستان العراقي، ويعتبر بمثابة رئيس للأكراد، وقد قام مسعود البرزاني بإنزال العلم العراقي عن الهيئات الحكومية في إقليم كردستان في سبتمبر ٢٠٠٦، وقال إنه لن يعيد رفع العالم إلا بعد تغييره؛ لأنه يرى أن العلم العراقي القديم يمثل النظام البعثي السابق للرئيس صدام حسين، ولهذا قام البرلمان العراقي بعمل تصويت على تغيير العلم العراقي في يناير ٢٠٠٨، وجاءت نتيجة التصويت بالموافقة، حيث وافق ١١٠ عضوًا من أصل ١٦٠ عضوًا، وهذا التغيير مدته عام واحد فقط، بعدها يتم وضع علم جديد يعبر عن هوية الشعب العراقي كله، والعلم العراقي في عهد النظام العراقي السابق كان عبارة عن ثلاثة ألوان، هي الأحمر والأبيض والأسود، ومرسوم عليه ثلاثة نجوم، ومكتوب عليه كلمة الله أكبر، وتم عمل تعديل بسيط في العلم، بحيث ظل كما هو لكن بدون النجوم الثلاثة التي تعبر عن مبادئ حزب البعث، وقد وافق مسعود البرزاني على رفع العلم بشكله الجديد في إقليم كردستان العراق.

كما كان للبرزاني موقف آخر بخصوص قانون مجالس المحافظات الذي أقره مجلس النواب العراقي بأغلبية، ولكن البرزاني ورئيس العراق جلال طالباني وباقي الأكراد رفضوه،

بحجة أنه انتهاك للمادة ١٤٠ من الدستور الذي كتب بأيد أمريكية، حيث يريد الأكراد السيطرة على مدينة كركوك النفطية، والاستفادة من ثرواتها وحدهم؛ فالأكراد يتعاملون من منظور أنهم دولة داخل الدولة، ويريدون الاستقلال بشكل كامل، مما يدعم العنصرية والطائفية، والحقيقة أن ما يفعله الأكراد الآن هو تنفيذ للإرادة الأمريكية في تشتيت العراق وتقطيع أوصاله، لتحقيق مصالحها الشخصية.

ولم تشأ الإدارة الأمريكية للرئيس بوش أن تترك العراق بسهولة؛ لأنها لم تأت للعراق إلا من أجل استنفاد ثرواته النفطية؛ لهذا أرسلت وزيرة خارجيتها كونداليزا رايس في أغسطس ٢٠٠٨ للعراق من أجل العمل على التوصل لاتفاقية أمنية بين العراق والولايات المتحدة، تسمح ببقاء القوات الأمريكية في العراق لأطول فترة ممكنة، وذلك قبل انتهاء عام ٢٠٠٨؛ حيث كان قد صدر قرار بالإجماع من مجلس الأمن الدولي يسمح ببقاء قوات التحالف في العراق حتى نهاية ٢٠٠٨، بعد طلب رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي ذلك، وتأكيده على أن هذه ستكون آخر مرة يطلب فيها مد فترة وجود قوات التحالف في العراق.

وقد وجدت الإدارة الأمريكية صعوبة كبيرة في عقد الاتفاقية الأمنية مع بغداد، حيث وجدت خلافًا كبيرًا حول العديد من نقاط الاتفاقية، خاصة الموعد المحدد لانسحاب

القوات الأمريكية من العراق، وإمكانية ملاحقة الجنود الأمريكيين، فالإدارة الأمريكية كانت تريد أن يستمر التواجد الأمريكي في العراق فترة طويلة، حتى تستطيع السيطرة على معظم ثرواته النفطية، كما كانت ترى أنه لا يجب ملاحقة الجنود الأمريكيين؛ لأنهم يؤدون واجبهم، بينما أصرت الحكومة العراقية على تحديد عام ٢٠١١ كموعد نهائي لانسحاب القوات الأمريكية من العراق، وإدخال بند يسمح بملاحقة الجنود الأمريكيين في حال تورطهم في جرائم أخلاقية أو جنائية.

وفي الوقت الذي لاقت فيه الاتفاقية الأمنية معارضة عراقية شديدة، لاقت أيضًا معارضة خارجية شديدة من دول جوار العراق؛ خاصة إيران وسوريا، حيث تسربت بعض المعلومات عن وجود بنود في الاتفاقية تسمح للولايات المتحدة بشن حروب على بلاد أخرى من داخل الأراضي العراقية، وهو الأمر الذي نَفَتْه الحكومة العراقية، وسعت للتأكيد على عدم صحته، من خلال إرسالها لبعثات دبلوماسية لإيران وسوريا لطمأنتهم من عدم وجود ما يدعو للقلق في الاتفاقية الأمنية مع واشنطن، وأن العراق لن تكون قاعدة عسكرية لشن أي هجوم عليهما، وقد ذكر ريموند أوديرنو قائد القوات الأمريكية في العراق أنه لا يستبعد تلقي نواب عراقيون رشاوى من طهران للتصويت ضد الاتفاقية الأمنية، ولكنه لا يملك الدليل على ذلك؛ مما يؤكد أن الولايات المتحدة كانت قلقة من عدم

التوصل لاتفاق أمني مع بغداد، وقد أقرَّت الحكومة العراقية برئاسة المالكي الاتفاقية الأمنية بموافقة ٢٧ وزيرًا من أصل ٢٨ وزيرًا، ثم أحالتها لمجلس النواب العراقي.

وقد رفض البرلمان العراقي الاتفاقية الأمنية مع واشنطن أكثر من مرة، وفي كل مرة كان يتم عمل تعديلات عليها، حتى هدد نوري المالكي بإحالة الأمر للأمم المتحدة لمد التفويض للقوات الأمريكية بالاستمرار بالتواجد في العراق، وذلك بعد تبادل الشتائم والعراك داخل ساحة البرلمان؛ بسبب اتهام الكتل البرلمانية لبعضها بالخيانة والعمالة.

وقد أكد حارث الضاري رئيس هيئة علماء المسلمين على أن إقرار الاتفاقية الأمنية يعد استجابة لضغوط أمريكية، وأنه يجب طرحها للاستفتاء الشعبي؛ لأن الشعب هو من يجب أن يحدد مصيره، في حين أكد مقتدى الصدر زعيم الكتلة الصدرية أنه سيكون ميليشيا مناهضة للاحتلال الأمريكي في حال توقيع الاتفاقية الأمنية، أما مسعود برزاني زعيم الأكراد فقد كان رأيه مختلفًا تمامًا؛ حيث صرَّح بأنه مستعد لإقامة قواعد عسكرية أمريكية في إقليم كردستان في حال رفض بغداد للاتفاقية الأمنية مع الولايات المتحدة.

وفي نهاية الأمر، وبعد مشاحنات ومشاجرات كثيرة، صادق مجلس النواب العراقي على الاتفاقية الأمنية بموافقة ١٤٠ عضوًا

من أصل ١٩٠ عضوًا ممن حضروا الجلسة، وبعد ذلك عُرضت الاتفاقية على الرئيس جلال طالباني، الذي وافق عليها على الفور حتى ينتهي من هذا الملف العصيب.

والاتفاقية الأمنية تم عقدها مع الولايات المتحدة فقط، حيث لم تتقدم أي دولة أخرى من دول الاحتلال بطلب لاستمرار التواجد في العراق، وقد رفض البرلمان العراقي أن يمد فترة وجود القوات الأجنبية غير الأمريكية لما بعد عام ٢٠٠٨، لكن بعد وساطة نوري المالكي تم تحديد يونيو ٢٠٠٩ كموعد نهائي لانسحاب جميع قوات التحالف الأنجلو أمريكي من العراق.

لقد استغلت الإدارة الأمريكية وحليفتها الأولى بريطانيا وجودهما في العراق لإعلان الحرب بطريقة أخرى مع دول جوار العراق، مثل سوريا وإيران، التي تتحرش بهما القوات الأمريكية والبريطانية منذ دخول العراق، فالإدارة الأمريكية اتهمت سوريا بشكل مباشر بتهريب أسلحة للعراق عبر الحدود المشتركة بينهما، وبإدخال متسللين من العناصر الإرهابية للأراضي العراقية لزعزعة استقرار العراق وأمنه، وفي سبتمبر ٢٠٠٧ اخترقت إسرائيل المجال الجوي السوري، وقصفت موقعًا قالت فيما بعد إنه موقع نووي سوري، ثم اتهمت الولايات المتحدة سوريا بالتعاون النووي مع كوريا الشمالية، وممارسة أنشطة نووية محظورة، وقامت بعرض بعض الصور

للموقع الذي قصفته إسرائيل، ولكن سوريا نفت من جانبها وجود أي أنشطة نووية على أراضيها، ووافقت على دخول مبعوثي الأمم المتحدة لأراضيها للتأكد من أن الموقع لم يكن لممارسة أي نشاط نووي، وذلك لإحباط المحاولات الأمريكية في استدراجها للدخول في حرب معها.

أما بالنسبة لإيران، فقد صنفها الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر على أنها إحدى دول محاور الشر، وبعد فضيحة أسلحة الدمار الشامل العراقية بدأت الولايات المتحدة في الترويج لخطورة البرنامج النووي الإيراني، وذلك للتغطية على فضيحتها في العراق، كما أنه بعد اعتراف المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن بخطأ تقديراته بشأن قدرة النظام العراقي السابق للرئيس صدام حسين على إنتاج وتطوير أسلحة دمار شامل، صرح وزير الخارجية البريطاني جاك سترو في نفس اليوم أن إيران لم تف بوعودها بشأن فتح منشآتها النووية للمفتشين الدوليين، ثم صرح في يوليو ٢٠٠٤ بخطورة البرنامج النووي الإيراني، وأن البرنامج النووي الإسرائيلي برنامج دفاعي، وفي سبتمبر ٢٠٠٤ عقدت الولايات المتحدة الجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل الملف النووي الإيراني، وأشارت لضرورة إنهاء تخصيب اليورانيوم في إيران؛ لأن ذلك يهدد أمن إسرائيل، في حين أصرت إيران على أن برنامجها النووي سلمي

للأغراض المدنية فقط، بعكس البرنامج النووي الإسرائيلي الحربي.

وقد أسفرت المحاولات الأمريكية والبريطانية عن إحالة الملف النووي الإيراني لمجلس الأمن، وفرض عقوبات بحظر إعطاء إيران أي أجهزة أو مكونات تساعدها في برنامجها النووي، لكن الولايات المتحدة رغم كل هذا لم تستطع فرض عقوبات ذات أهمية على طهران؛ بسبب معارضة كل من روسيا والصين لمثل هذه العقوبات التعسفية، مما جعل الولايات المتحدة تلجأ لنوع آخر من التحرش بإيران؛ حيث قامت القوات الأمريكية في يناير ٢٠٠٧ باختطاف ستة دبلوماسيين إيرانيين من القنصلية الإيرانية في العراق، وبررت الإدارة الأمريكية ذلك بأن المبنى غير تابع للقنصلية، وأن من اختطفتهم إرهابيين يحاولون زعزعة أمن واستقرار العراق، كما اتهمت الولايات المتحدة إيران بإدخال أسلحة مدمرة للعراق تم بها قتل مائة وسبعون جندي أمريكي في العراق، وهو ما نفته إيران بشكل قاطع، وشكك في حدوثه الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية.

وأعلنت إيران في مارس ٢٠٠٧ أنها ألقت القبض على خمسة عشر بحارًا بريطانيًّا داخل مياهها الإقليمية، وقد قامت بالتحقيق معهم، واعترفوا بدخول المياه الإقليمية الإيرانية، وبعد

خمسة عشر يومًا من احتجازهم أعلن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد أنه سيفرج عن البحارة البريطانيين لمكافأة الشعب البريطاني الذي يعترض على سياسة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، وذلك على الرغم من أن القانون الدولي يسمح لإيران بالتحقيق معهم وسجنهم، وبعد عودة البحارة الخمسة عشر لبلادهم تراجعوا عن أقوالهم التي عرضت في جميع وسائل الإعلام بالصوت والصورة، وقالوا إنهم تعرضوا لضغوط كثيرة جعلتهم يعترفون كذبًا بدخول المياه الإقليمية لإيران.

واستكمالًا لمسلسل الاحتكاك الأمريكي البريطاني بإيران أعلنت الولايات المتحدة في يناير ٢٠٠٨ عن احتكاك خمسة زوارق إيرانية بثلاث سفن من حاملات الطائرات الأمريكية وهددت بتفجيرها في مضيق هرمز، ووصفت الإدارة الأمريكية تصرفات إيران بالاستفزازية، ونفت إيران هذه الواقعة، وأعلنت عدم احتكاكها بالسفن الأمريكية.

أما ما يدعو للدهشة حقًا هو صدور تقرير للمخابرات الأمريكية السي أي أيه في نوفمبر ٢٠٠٧ يؤكد أن إيران أنهت برنامجها النووي الحربي في عام ٢٠٠٣، ورغم ذلك ظلت الإدارة الأمريكية برئاسة جورج بوش الابن تلوِّح بإمكانية إعلان الحرب على طهران، وحاولت أن تحشد الدعم العالمي من أجل ذلك، حيث قام الرئيس الأمريكي بوش بزيارة عدد

من دول الشرق الأوسط، منها السعودية والإمارات والكويت ومصر عقب حادثة الزوارق الإيرانية المزعومة، وكان الهدف المعلن لهذه الزيارة هو التنسيق مع الجانبيين الفلسطيني والإسرائيلي في إطار اتفاق أنابوليس؛ حيث كان قد بدأ جولته بزيارة الأراضي المحتلة، أما الهدف غير المعلن عنه هو حشد دعم بعض الدول العربية من أجل إعلان الحرب على إيران، وهي الخطوة التي رفضتها كل الدول التي زارها الرئيس الأمريكي؛ حيث لم يترك الرئيس بوش فرصة في كل المؤتمرات التي عقدها خلال زيارته إلا وقام فيها بالتنويه عن خطورة إيران على الأمن العالمي.

لقد حاول هذا الشيطان المدعو بوش الابن الأصغر لإبليس أن يجر الدول العربية للدخول في حرب مع إيران، في نفس الوقت الذي تحاول فيه الدول العربية تهدئة الوضع مع إيران، من أجل العمل على استقرار المنطقة التي أشعلها هذا الكاذب المتغطرس، وقد فعل الشيطان الصغير ذلك من أجل تصفية حسابات أمريكية خاصة مع إيران، وأيضًا لنقل التهديد الإيراني لإسرائيل إلى الدول العربية؛ حيث أراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد.

وقد استطاعت إدارة الرئيس بوش أن تشعل نار الفتنة بين إيران والعراق، اللتان زادت الأوضاع سوءًا بينهما عقب إعلان

الرئيس العراقي جلال طالباني عن ضرورة إلغاء اتفاقية الجزائر التي عقدت بينهما في الجزائر عام ١٩٧٥، والتي تقضي بتقسيم شط العرب بين الجانبين، وتقضي أيضًا بضرورة توقف إيران عن دعم الأكراد في شمال العراق، وقد تم إلغاء هذه الاتفاقية عقب حرب الثماني سنوات بين إيران والعراق عام ١٩٨٠، ولكن رجع العمل بها مرة أخرى بعد انتهاء هذه الحرب.

وكما أدخلت الإدارة الأمريكية اللعينة العراق في حرب باردة مع إيران أدخلته في حرب حقيقية مع تركيا، فبعد أن زادت خطورة حزب العمال الكردستاني في تركيا، والذي يهدف لانفصال المنطقة الكردية عن تركيا، أصبحت الحكومة التركية تواجه مأزقًا لا يمكن التخلص منه إلا عن طريق المواجهة الحقيقية مع زعماء هذا التنظيم في تركيا والعراق، وهو ما جعل مسعود برزاني زعيم الأكراد في العراق يعلن في إبريل ٢٠٠٧ أنه سيتدخل في شئون أكراد تركيا إذا ما تدخلت تركيا في شئون أكراد العراق، وقد أعلن رئيس البرلمان العراقي دعمه الكامل لتصريحات البرزاني، وعقب ذلك جاء رد رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان برفضه القاطع لهذه التصريحات، وطرحت الحكومة التركية قرارًا أمام البرلمان التركي يقضي بضرورة مواجهة الأكراد من حزب العمال الكردستاني الذين يهددون أمن تركيا، وقد وافق البرلمان التركي على هذا القرار بأغلبية، كما أن الشعب التركي أعلن هو الآخر عن تأييده الكامل لهذه الخطوة، وفي نوفمبر ٢٠٠٧

فوَّضت الحكومة التركية الجيش التركي بمحاربة حزب العمال الكردستاني في شمال العراق، وبهذا أصبحت المنطقة الوحيدة الهادئة نسبيًّا في العراق معرَّضة هي الأخرى للتوتر والقلق، وكأن العراق أصبح على موعد دائم مع الحروب والكوارث.

وما كانت تركيا لتقدم على هذه الخطوة إلا إذا كانت قد أخذت تفويضًا مباشرًا من الولايات المتحدة بدخول العراق؛ حيث لم تُبْد الإدارة الأمريكية أي رد فعل تجاه إعلان الحرب التركية على شمال العراق، وكان موقفها سلبيًّا جدًّا، وطلبت من تركيا التنسيق معها قبل القيام بأي عملية عسكرية في شمال العراق، والسبب في عدم الاعتراض الأمريكي على الحرب التركية ضد العراق هو وجود علاقات اقتصادية وسياسية قوية بين الجانبين التركي والأمريكي، وكذلك الرغبة الأمريكية في استمرار زعزعة أمن العراق واستقراره؛ للتأكيد على أن استمرار التواجد الأمريكي في العراق ما زال مهمًّا.

وعلى الرغم من إعلان زعيم الأكراد مسعود البرزاني عن استعداده لمساعدة تركيا في القضاء على عناصر حزب العمال الكردستاني الموجودين في العراق، إلا أن تركيا أعلنت الحرب بشكل رسمي على شمال العراق، حيث بدأت بضرب مواقع حزب العمال الكردستاني في العراق جوًّا، ثم دخل الجنود الأتراك الأراضي الكردية العراقية للمواجهة البرية مع أعضاء الحزب الانفصالي.

والحرب التركية في شمال العراق ليست لها معالم واضحة حتى الآن، فبين كل حين وآخر تعلن تركيا عن نجاحها في قتل العشرات من أعضاء حزب العمال الكردستاني في هجوم جوي أو بري في حين يعلن الجانب العراقي أن من تم قتلهم ليسوا إلا مدنيين من أكراد العراق.

إن الحرب الأمريكية على العراق أدَّت لزعزعة أمن العراق واستقراره، وقضت على كل مبادئ وقوانين السياسة الداخلية للعراق، وأقامت بدلًا منها سياسة داخلية تتفق مع مصالحها الخاصة في المنطقة العربية كلها، فالولايات المتحدة لم تأتِ العراق لتحقيق نصر عسكري، ولكنها جاءت لتحقيق نصر اقتصادي، وهذا هو الواقع المرير الذي يعيشه العراق حاليًّا.

محاكمة صدام

وسقوط بوش



بعد نقل السيادة للشعب العراقي في يونيو ٢٠٠٤، ورحيل الحاكم المدني الأمريكي بول بريمر من العراق، قامت القيادة الأمريكية في العراق بتسليم الرئيس العراقي السابق صدام حسين وأحد عشر من معاونيه للسلطة العراقية، مع الإبقاء على الحراسة الأمريكية عليه لضمان عدم التعرض له بالضرر، وبهذا لم يعد الرئيس العراقي صدام حسين أسير حرب، وقد بدأت محاكمته في يوليو ٢٠٠٤ محاكمة علنية مع معاونيه الأحد عشر أمام قاضٍ عراقي هو سليم الجلبي، وقد أكد صدام حسين في أول جلسات محاكمته على أنه ما زال الرئيس الشرعي للعراق، وأن محاكمته مجرد مسرحية لرفع رصيد الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في الانتخابات الرئاسية التي كان قد قرب موعدها.

ولقد تم توجيه سبعة اتهامات رئيسية للرئيس العراقي السابق صدام حسين، أهمها اتهامه في قضيتي الدجيل والأنفال، حيث اتهم في قضية الدجيل بقتل مائة وثمانية وأربعون مدنيًّا من قرية الدجيل العراقية عام ١٩٨٢، وذلك بعد تعرضه لمحاولة اغتيال أثناء مرور موكبه فيها، وقد تطوع عشرات المحامين من جميع أنحاء العالم من الدول العربية والغربية للدفاع عن صدام حسين ومعاونيه، وكان يترأسهم خليل الدليمي، وظلت قضية الدجيل مستمرة منذ بدء المحاكمة وحتى نوفمبر ٢٠٠٦، حين صدر

الحكم على الرئيس العراقي صدام حسين بالإعدام، أما قضية الأنفال؛ فهي القضية التي اتهم فيها الرئيس العراقي بضرب مدينة الأنفال الشيعية بأسلحة محظورة دوليًّا عام ١٩٨٨؛ بسبب تعاونهم مع النظام الإيراني خلال حرب الخليج الأولى، وقد وتم الحكم عليه في هذه القضية بالإعدام أيضًا، وخلال فترة محاكمة الرئيس العراقي صدام حسين ومعاونيه تنحَّى العديد من القضاة عن المحاكمة بسبب صعوبتها، وكثرة الجدل حولها.

وفي السادس والعشرين من ديسمبر عام ٢٠٠٦ قضت محكمة التمييز العراقية بإعدام الرئيس صدام حسين خلال موعد أقصاه ثلاثين يومًا، ومن المعروف أن قرار محكمة التمييز لا يتم إعادة النظر فيه أو استئنافه مرة أخرى، وبالفعل تم تنفيذ الحكم صباح أول أيام عيد الأضحى المبارك في الثلاثين من ديسمبر عام ٢٠٠٦؛ حيث أعدم الرئيس صدام حسين شنقًا، وقد صدق على قرار الإعدام رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، ولم يصدق عليه الرئيس العراقي جلال طالباني، على الرغم من أن التصديق على مثل هذا القرار من اختصاص رئيس الدولة تبعًا للقانون العراقي.

ولقد عرضت جميع شاشات التلفزيون في جميع أنحاء العالم مشهد إعدام الرئيس العراقي صدام حسين؛ حيث قام بتصويره أحد المشرفين على عملية الإعدام، وقد بدا صدام حسين في لحظة إعدامه متماسكًا، وردد الشهادتين، ورفض وضع غطاء

على رأسه، وواجه قاتليه الذين وضعوا أغطية على رؤوسهم خوفًا من ملاحقتهم من قبل أنصاره بكل شجاعة، وبعد إعدامه تعالت الهتافات حوله بأسماء زعماء الشيعة في العراق، وفي اليوم التالي لإعدامه تم تسليم جثمانه لزعماء العشائر في بلدة العوجة بتكريت مسقط رأسه، حيث قاموا بالصلاة عليه ودفنه في جنازة متواضعة.

ولقد توالت ردود الفعل العالمية عقب الإعلان عن إعدام الرئيس العراقي صدام حسين، حيث أدانت الدول العربية كلها إعدامه؛ لأنه حدث في أول أيام عيد الأضحى المبارك دون مراعاة لمشاعر المسلمين في جميع أنحاء العالم، ودون مراعاة لحرمة هذا اليوم عند المسلمين، وبالنسبة لردود الفعل الأوربية فقد كانت متقاربة من بعضها إلى حد كبير، حيث أعلنت دول الاتحاد الأوربي عن رفضها لعقوبة الإعدام بشكل عام، لكنها رغم ذلك تحترم سيادة العراق وقرار المحكمة العراقية، وصرح معظمهم بأن صدام حسين أخذ جزاءه ودفع ثمن جرائمه التي ارتكبها بحق الشعب العراقي، وكانت إيطاليا تقريبًا هي الدولة الأوربية الوحيدة التي نددت بإعدام الرئيس العراقي، ووصفته بأنه عمل بربري، سيجر العراق نحو مزيد من العنف والطائفية، كما صرح الفاتيكان بأن خبر إعدام الرئيس العراقي خبر مفجع.

وقد أدانت جميع منظمات حقوق الإنسان في العالم إعدام الرئيس العراقي صدام حسين، واعتبرته عملًا همجيًّا؛ لأن الرئيس العراقي لم يحاكم محاكمة عادلة، كما أن محاكمته كانت في ظل وجود الاحتلال الأنجلو أمريكي؛ أي إنه لا يمكن الاعتداد بها.

وهناك قلة من الدول التي رحبت بنبأ إعدام الرئيس العراقي، على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، وإيران؛ حيث صرح الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن بأن إعدام صدام يشكل مرحلة مهمة على طريق الديمقراطية في العراق، وأن العراق يمكن أن يكون حليفًا للولايات المتحدة في حروبها القادمة على الإرهاب، أما إيران فقد أعلنت أن إعدام صدام نصر كبير للعراقيين، وأنه دليل على تحقيق العدالة الإلهية التي وعد الله بها الناس، وعبرت إسرائيل هي الأخرى عن ارتياحها لإعدام صدام الذي كان يعتبر من ألد أعدائها.

أما عن ردود الفعل الشعبية، فقد أدانت معظم الشعوب في العالم إعدام الرئيس العراقي، ونددوا به؛ لأنه لم يراعِ مشاعر ملياري مسلم في العالم، وبالنسبة للشارع العراقي، فقد كان منقسمًا؛ حيث عمَّت الفرحة المدن الشيعية والكردية، بينما أدان المسلمين السنة إعدام الرئيس العراقي، خاصة مدينة تكريت مسقط رأس صدام حسين، والذين أكدوا على ضرورة الانتقام من قاتليه.

واختيار موعد إعدام الرئيس العراقي صدام حسين يوم عيد الأضحى المبارك لم يكن مصادفة، بل جاء عن عمد أمريكي شيعي؛ فالإدارة الأمريكية التي ادَّعت عدم علمها بموعد الإعدام أرادت أن ترسل رسالة للعرب بصفة خاصة، والمسلمين بصفة عامة، أن نهاية كل من يعادي الولايات المتحدة الأمريكية لن تختلف كثيرًا عن النهاية التي وضعتها للعراق ورئيسها الذي نفذت حكم الإعدام فيه وكأنه كبش فداء لأرواح جنودها الذين قتلوا في العراق، كما أن اختيار الإدارة الأمريكية لموعد إعدام الرئيس العراقي قبل أربعة أيام فقط من انعقاد أولى جلسات الكونجرس الأمريكي بقيادة الحزب الديمقراطي بعد فوزه في انتخابات التجديد النصفي، كان اختيارًا مخططًا له مسبقًا؛ حيث أراد الرئيس بوش أن يثبت أنه استطاع تحقيق الديمقراطية المنشودة في العراق.

وانجرف رئيس الوزراء الشيعي نوري المالكي وراء الرغبة الأمريكية، أو تلاقت أهدافهما، حيث صدق على قرار إعدام الرئيس العراقي صدام حسين في أول أيام عيد الأضحى؛ ليوصل رسالة للمسلمين السنة في العراق بأن زمنهم ولّى بنهاية الرئيس صدام حسين، كما أراد أن يحصل على تأييد كل الفصائل الشيعية في العراق؛ حتى يضمن استمرار حكومته، فالمالكي لم يكترث بمشاعر المسلمين السنة في العراق، وفعل ما

يحقق أهدافه الخاصة دون تفكير بالعواقب التي يمكن أن تترتب على تصرفه الفردي.

والصلابة التي أبداها الرئيس العراقي صدام حسين لحظة إعدامه كانت لطمه قوية في وجه إدارة الرئيس الأمريكي بوش الابن، التي توهمت أنها تستطيع إخضاع العراق في شخص الرئيس صدام حسين، ولكنها كما لم تخضعه لم تستطع أن تخضع العراق أيضًا، وهذا ليس دفاعًا عن صدام حسين؛ لأن ما ارتكبه في حق الأمة العربية والشعب العراقي لا يُغتفر، ولكنه دفاعًا عن رئيس دولة عربية واجه الاحتلال بكل شجاعة ورفض الخضوع والاستسلام.

وإعدام الرئيس العراقي في هذا الوقت زاد الأوضاع الأمنية في العراق سوءًا؛ لأنه أدى لتكريس العنف الطائفي بين المسلمين السنة والشيعة؛ لأن من صادق على قرار الإعدام كان رئيس الوزراء الشيعي نوري المالكي، وكانت المصادمات بين السنة والشيعة قد بدأت على استحياء قبل إعدام الرئيس العراقي صدام حسين، حتى وصلت لذروتها باستهداف مساجد سنية وشيعية في العديد من الأماكن، مثل تفجير مرقد الإمامين، ونسف القبتين الذهبيتين في يونيو ٢٠٠٦، وفي اليوم التالي تم تفجير أربعة مساجد سنية، كما أصبح العثور على جثث عليها آثار التعذيب للمدنين العراقيين في الأحياء السنية والشيعية أمرًا طبيعيًا يحدث كل يوم.

إن دخول العراق في حرب أهلية هو آخر ما يحتاجه العراق؛ لأن المشاكل الأمنية في العراق لا تحتمل أي زيادة، خاصة بعد أن تسلَّمت القوات العراقية التي تم تدريبها المسئولية الأمنية الكاملة عن كافة المدن العراقية من القوات متعددة الجنسيات، والتي بدأنها بتسلم المسئولية الأمنية الكاملة في محافظة المثنى في يوليو ٢٠٠٦، فالتحالف الأنجلو أمريكي في العراق بدأ في التخلي عن المسئولية الأمنية للشارع العراقي، بعد أن أشعل النار في العراق؛ حيث بدأت أعمال العنف تتزايد، وظهر العنف الطائفي الذي يجتاح المدن العراقية دون سابق إنذار، فقوات التحالف نجحت في تأجيج نار الفتنة بين العراقيين لصرف الانتباه عن جرائمها في العراق.

إن عدم السيطرة على العنف الطائفي في العراق وهو ما زال في مرحلة المهد سوف يؤدي لاستفحال المشاكل الأمنية في العراق، بحيث لن يستطيع أحد أن يسيطر على الوضع هناك إلى أن يشاء الله ويرسل من يوحِّد كلمة العراقيين مرة أخرى، التي نتمنى من الله ألا تتفرق أبدًا؛ لأن الأمة العربية لا تحتاج لمزيد من الفرقة التي تسببت في ضعفها ووهنها بما يكفي حتى الآن.

إن اختيار يوم إعدام الرئيس العراقي وطريقة إعدامه جعلا منه بطلًا ورمزًا للشجاعة، لدرجة أنه قد أطلق عليه لقب شهيد الأمة، وأصبحت شعبيته كبيرة في الدول العربية والإسلامية،

مثله في ذلك مثل أسامة بن لادن، الذي تعتبره معظم الشعوب الإسلامية مجاهدًا ضد قوات الاحتلال الأمريكي وأعوانهم في كل مكان في العالم، وأطلق عليه هو الآخر لقب المجاهد، والسبب وراء هذا الاختلاط في المفاهيم عند الشعوب هي السياسة الغاشمة التي يتبعها قادة العالم، والتي جعلت من الباطل حقًا ومن الحق باطلًا، فقد صورت كلًا من صدام حسين وأسامة بن لادن وجورج بوش أبطالًا، في نفس الوقت الذي صورت فيه المقاومة الشريفة على أنها إرهابًا.

والحقيقة هي أن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن والرئيس العراقي صدام حسين وجهان لعملة واحدة، فكل منهما حاكم ديكتاتور ولكن بطريقة مختلفة عن الآخر، فالديكتاتورية لها صور وأشكال مختلفة؛ فصدام حسين حاكم طاغية مستبد برأيه، كان يقضي على كل من يقف في طريقه ويعارض سياسته، وكان يتعمَّد خنق حرية التفكير وهي أبسط حقوق المواطن في أي مكان في العالم، وجميع الشواهد تؤكد أنه طاغية، وأبسط دليل على ذلك هو اجتياحه للكويت دون سبب مقنع، فقط كان يريد أن يجعل منها المحافظة العراقية التاسعة عشر، أما جورج بوش الابن الرئيس السابق للولايات المتحدة، والتي يعتقد أنها دولة الحرية والديمقراطية، فهو الأكثر ديكتاتورية؛ حيث تعمد تجاهل الشرعية الدولية، ولم يستمع لنداءات الشعوب الرافضة للحرب المزعومة على الإرهاب،

واستمع لصوته فقط، حتى أصبح ضحاياه بالملايين، ما بين قتلى ومصابين ومشردين وثكالى... إلخ.

فبوش لم يخطئ في حق دولة واحدة، ولكنه اخطأ في حق العالم كله.

إن النتيجة الحتمية لأي ديكتاتور متسلط هي السقوط، ولقد سقط صدام حسين في شر أعماله، وسقط أيضًا الرئيس بوش سقوطًا مدويًا قبل أشهر قليلة من انتهاء ولايته الثانية، ولقد جاء سقوط بوش على عدة مستويات، فعلى المستوى الاقتصادي سقط بوش بالإعلان عن الأزمة الاقتصادية العالمية التي تسببت فيها الولايات المتحدة أكبر قوة اقتصادية في العالم، والتي بدأت بانهيار مؤسسات مالية أمريكية كبرى، واندماج العديد من البنوك الأمريكية، وانهيار البورصات الأمريكية واحدة تلو الأخرى، مما تسبب في حدوث كساد اقتصادي عالمي، وتوقعات بزيادة نسب الفقر والبطالة في العالم كله، وقد دعا ذلك الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن لعمل خطة لإنقاذ القطاع المصرفي الأمريكي، تقضي بضخ سبعمائة مليار دولار للسوق المصرفي، لكن هذه الخطة لاقت رفض مجلس النواب الأمريكي، وأعرب بوش عن خيبة أمله لذلك، وقد تم اتهام بوش بأنه وراء هذه الأزمة، بسبب الإنفاق على حروب الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان، التي تكلف الولايات المتحدة مليارات الدولارات سنويًا، وبسبب إهماله للسياسة الداخلية؛ مما أدى لانتشار الفساد في القطاع المصرفي.

ولقد تسببت الأزمة الاقتصادية في مشاكل كثيرة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث تم صرف آلاف العمال من الشركات التي يعملون بها، مما أدى لزيادة نسبة البطالة بصورة كبيرة، كما أدت هذه الأزمة لإغلاق مؤسسات مالية كبرى، وحدوث كساد في الاقتصاد الأمريكي وصف بأنه الأسوأ بعد كساد عام ١٩٣٠، أما أكثر المتضررين من هذه الأزمة في الولايات المتحدة فهي الطبقة المتوسطة، التي تكافح من أجل العيش بالكاد؛ حيث زادت معدلات طلب هذه الطبقة على معونة البطالة.

كما سقط الرئيس الأمريكي جورج بوش على المستوى السياسي أيضًا، حيث لم يحدث أي تقدم ملموس في الحرب الأمريكية على أفغانستان، وبقي الوضع على ما هو عليه هناك، فحركة طالبان تزداد قوة يومًا بعد آخر، والشعب الأفغاني يعاني الفقر والبطالة والمرض، ولا يستطيع عمل أي شيء سوى البكاء والنحيب على حاله، الذي تحوَّل من سيئ إلى أسوأ بفضل استمرار التواجد الأمريكي هناك، كما أن الحرب الأمريكية على العراق لم تحرز أي تقدم هي الأخرى، فقد زادت أعمال العنف في العراق، وتدهور الوضع الأمني بصورة كبيرة، وزادت أعداد القتلى من الجنود الأمريكيين، ولم يعد هناك مكان آمن في العراق.

وعلى المستوى السياسي أيضًا فشل الرئيس بوش في تحقيق وعده بإقامة دولة فلسطينية خلال فترة وجوده في الرئاسة، ليس هذا فحسب، بل إن إسرائيل وجهت إليه صفعة قوية لتؤكد له فشله بعد كل ما فعله من أجلها، وتأييده المستمر لها على طول الطريق، وذلك حين قامت بإعلان حرب شاملة على قطاع غزة، برًّا وجوًّا وبحرًا في السابع والعشرين من ديسمبر لعام ٢٠٠٨؛ أي قبل أقل من شهر على خروج الرئيس بوش من البيت الأبيض دون رجعة، هذه الحرب التي أسفرت عن استشهاد أكثر من ٣١٠٠ فلسطيني، وإصابة أكثر من خمسة آلاف آخرين، لم يستطع الرئيس بوش أن يفعل أي شيء فيها، وكان دوره كالمتفرج مثله في ذلك مثل باقي زعماء العالم الغربي والعربي، ورغم أن الرئيس بوش كان يعلم من البداية أنه لن يستطيع تنفيذ وعده بإقامة دولة فلسطينية؛ لأنه يعلم جيدًا أن إسرائيل المزعومة ليست لها وعود ولا عهود، مثلما كان يعلم كل سابقيه من رؤساء الولايات المتحدة ذلك، إلا أن السياسة الأمريكية الخارجية تقتضي على أي رئيس دولة أن يعد بإقامة دولة فلسطينية.

وكما سقط الرئيس بوش سياسيًّا واقتصاديًّا سقط أخلاقيًّا، حيث اشتهر الرئيس جورج بوش الابن بالكذب، وأصبحت صفة الكذاب ملازمة له، وعرف في كل مكان ببوش الكذاب،

وذلك لأنه منذ وطأت قدمه البيت الأبيض لم يقل إلا الأكاذيب والمهاترات، والتي بدأها ببدعة الحرب على الإرهاب من أجل عالم أفضل، ثم تبعها بالكذب في كل ما يخص الحرب على العراق، بداية من أسلحة الدمار الشامل التي كانت سبب الحرب كما قال، وانتهاء بادعاء استقرار الأوضاع الأمنية وتحقيق نصر محقق في الحرب على الإرهاب.

أما السقوط الحقيقي للرئيس بوش فحدث عند زيارته الأخيرة للعراق في الرابع عشر من ديسمبر لعام ٢٠٠٨ للتوقيع على الاتفاقية الأمنية بين بغداد وواشنطن، وذلك عندما كان يلقي كلمته في مؤتمر صحفي عقده مع رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، وعندما قال بوش إن هذه هي زيارة الوداع فاجأه الصحفي العراقي منتظر الزيدي مراسل قناة البغدادية العراقية بقذفه بإحدى فردتي حذائه مرددًا: هذه هي قبلة الوداع يا كلب، ولكن بوش تفادى حذاء منتظر؛ فبادره بفردة حذائه الأخرى، التي حاول رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي أن يبعدها عن بوش بيده، ولكنها أصابت هذه المرة قلب العلم الأمريكي، وقد بدا الرئيس بوش مبتسمًا، غير عابئ بما حدث، أما رئيس الوزراء العراقي فقد بدا متجهمًا شديد التوتر، في نفس الوقت الذي تم الاعتداء فيه على الصحفي العراقي منتظر الزيدي بالضرب المبرح وسط قاعة المؤتمرات من قبل قوات أمن

عراقية وأمريكية كانت مرافقة للرئيس بوش ونوري المالكي، قاموا بعدها بإخراج الزيدي من القاعة، وتم اقتياده لمكان غير معلوم.

وأكمل الرئيس بوش المؤتمر الصحفي معقبًا على ما حدث بقوله: "إن قياس الحذاء الذي تعرضت له عشرة، وهذا لا يؤثر عليَّ شخصيًّا، ومن قام بهذا العمل يريد أن يجذب الانتباه إليه"، وقال أيضًا: "إن هذا هو ثمن الحرية والديمقراطية التي يعيش فيها العراق الآن".

لقد حاول الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن أن يُظهر عدم اكتراثه بما حدث، وذلك بالسخرية من الموقف كله، وتعقيبه بقوله: "إن هذا يحدث في الاجتماعات العامة"، لكن الحقيقة تؤكد أن الإهانة التي وُجِّهت للرئيس بوش أكبر من أن توصف بمجرد الكلام، لدرجة دعت البعض للقول بأنه لو قتل الرئيس بوش في هذا اليوم لكان أفضل له وللشعب الأمريكي كله، والذي أهين في شخص الرئيس بوش.

وأعتقد أنه يجب على الشعب العراقي أن يختار يوم الرابع عشر من ديسمبر يومًا للاحتفال باستقلال العراق؛ لأنه اليوم الذي تجرَّع فيه العدو الأمريكي كأس الذل ومرارة الهزيمة، وعرف فيه العراقيون نشوة الفرح والنصر، منذ أن وطأ الاحتلال الأنجلو أمريكي أرض العراق، فعلى الباغي تدور

الدوائر، ومثلما فرح الرئيس الأمريكي بوش الابن في غريمه الأول الرئيس العراقي صدام حسين عندما تم ضُرب تمثاله بالحذاء عقب سقوط بغداد، فرحت شعوب العالم كله بضرب الرئيس بوش والعلم الأمريكي بالحذاء العراقي، وأعربت عن سعادتها، وخرجت للاحتفال في الشوارع حاملة صور الرئيس بوش مرفوع عليها أحذية بمختلف الأشكال والمقاسات، وقد تصادف أن يكون يوم ضرب بوش بالحذاء هو نفس اليوم الذي اختاره سابقًا للإعلان عن نبأ اعتقال الرئيس العراقي صدام حسين.

إن ما فعله الصحفي العراقي منتظر الزيدي كان حدثًا تاريخيًّا، على الرغم من محاكمته والحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة الاعتداء على رئيس دولة أجنبية، بدلًا من تكريمه وإعطائه الأوسمة والنياشين؛ لأنه فعل ما أراد كل عربي ومسلم حر أن يفعله، لكن الزيدي تم تكريمه على المستوى الشعبي، لدرجة أن البعض عرض شراء حذائه الذي قذف به الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن بأكثر من عشرة ملايين دولار، حيث دخل هذا الحذاء التاريخ من أوسع أبوابه.

لقد سقط الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، لكن هل ستتم محاكمته على كل ما ارتكبه من جرائم حرب ضد المدنيين العزل في العراق وأفغانستان؟ أم أن الولايات المتحدة الأمريكية دولة فوق القانون لا يمكن محاسبتها على الجرائم التي

ترتكبها ضد الإنسانية، والحقيقة التاريخية تؤكد لنا أنـــه منـــذ اعتلت الولايات المتحدة الأمريكية عرش السياسة العالمية لم يتم محاسبة أي من رؤسائها على جرائمه، وأكبر دليل على ذلـــك الرئيس هاري ترومان الذي أمر بإلقاء القنبلـــة الذريـــة علـــى هيروشيما وناجازاكي ولم تتم محاسبته، فهل تتكرر المأساة مرة أخرى ولا تتم محاسبة الرئيس جورج دبليو بوش على جرائمه التي أدت لانهيار القيم والأخلاق في العالم كله؟

نتائج الحرب الأنجلو أمريكية

على العراق



تسببت الحرب الأنجلو أمريكية على العراق بدعوى القضاء على الإرهاب في مشاكل كثيرة، ليس بالنسبة للعراق وحدها، ولكن بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والدول الحليفة لها أيضًا.

أولًا: نتائج الحرب الأنجلو أمريكية على العراق:

١ – تهديد وحدة العراق:

فالعراق دولة بها العديد من الاختلافات الدينية والعرقية، حيث تنقسم لثلاث مناطق رئيسية: الجنوب يعيش به المسلمون الشيعة، والوسط يعيش به المسلمون السنة؛ حيث العاصمة بغداد، أما الشمال فيعيش به الأكراد، ولديهم طموحات قديمة في الاستقلال عن العراق وإنشاء وطن خاص بهم، وبالإضافة لهذه الكيانات الرئيسية الثلاثة يوجد العديد من الفئات الصغيرة الأخرى، وهذا الاختلاف بين فئات الشعب العراقي يهدد وحدة العراق واستقراره؛ لأن كل فئة لها طموحاتها السياسية، والتي لن تتحقق إلا على حساب الفئات الأخرى، ومجرد تقاسم السلطة بين أي هذه الفئات الثلاثة سيؤدي للعديد من المشاكل، وأي حكومة منتخبة لن ترضى عنها أي فئة من فئات الشعب العراقي، يمكن أن تدخل العراق في حرب أهلية لن تنتهي إلا بعد أن تنال من العراق وشعبه.

ولقد زاد خطر حدوث فتنة طائفية بين أكبر فئتين في العراق السنة والشيعة منذ بدء الحرب الأنجلو أمريكية على العراق؛ لأن الاحتلال ساعد على تكريس الفتنة الطائفية بين الجانبين، عن طريق إعطاء صلاحيات أكبر للشيعة والأكراد على حساب المسلمون السنة، والحقيقة التي يعلمها الجميع الآن أنه على الرغم من مساوئ النظام العراقي السابق للرئيس صدام حسين إلا أن الوضع في العراق كان أكثر استقرارًا وأمنًا؛ حيث لم نكن نسمع عن وجود للفتنة الطائفية في العراق.

والحل الوحيد للمشكلة العراقية الآن هو خروج الاحتلال الأنجلو أمريكي من العراق بأسرع وقت ممكن، ثم العمل على تكوين حكومة وحدة وطنية يرضى عنها جميع الأطراف العراقية، ثم البدء في كتابة دستور جديد يحافظ على هوية العراق العربية، ويساعد على زيادة الالتحام بين كافة الطوائف العراقية، بدلًا من الدستور المكتوب بأيدي قوات الاحتلال والذي يدعم الطائفية والعنصرية.

٢- أصبح العراق بيئة خصبة لنمو الإرهاب:

فالغزو الأنجلو أمريكي للعراق أدى لخلق جو مناسب لانتشار الإرهاب هناك، حيث زادت نسبة العنف نتيجة اجتياح مشاعر السخط والغضب على تدني الأوضاع المعيشية

للشعب العراقي، وحدثت حالة عامة مـــن الفلتـــان الأمـــني، وانتشرت الأسلحة التي يتم تداولها في السوق السوداء بأســـعار زهيدة.

ومن المعروف أن أي تنظيم إرهابي يريد أن يمارس نـــشاطه يقوم بذلك في الأماكن المضطربة من العالم، ولأن العراق أصبح من أكثر الأماكن اضطرابًا في العالم، فقد جذب إليه تنظيمات إرهابية من الخارج، على رأسها تنظيم القاعدة الذي وجـــد في العراق ملاذًا له ليمارس نشاطه الإرهابي بكل سهولة ويـــسر، فبعد دخول الاحتلال الأنجلو أمريكي العراق بفترة قصيرة بـــدأ تنظيم القاعدة يعلن عن وجوده في العراق، حيث قام بالعديـــد من العمليات الإرهابية التي يكون أغلب ضحاياها من المدنيين، رغم تأكيد زعمائه على أنهم جاءوا العراق لمحاربة المحتل ودحر قواته، ولقد ثبَّت تنظيم القاعدة أقدامه في العراق بشكل مفزع، وأعلن عن تكوينه لتحالفات مع تنظيمات إرهابية أخرى، ممـــا أدَّى لتدهور الأوضاع الأمنية في العراق بصورة كبيرة.

وبالإضافة للتنظيمات الإرهابية الخارجية، نجد أنه ولـــدت داخل العراق تنظيمات جديدة من أبنائه، وهـــذه التنظيمـــات تتزايد بمرور الوقت، وليست لها أهداف سوى التخريب، فهي لا تفرق بين قوات الاحتلال والمواطنين العراقيين الذين لا ذنب

لهم، ولكن ينبغي أن نفرق بين الإرهاب والمقاومة الشريفة التي تستهدف قوات الاحتلال فقط، وليس لها أي هدف سوى إخراج الاحتلال مدحورًا مذمومًا من العراق.

والأوضاع الأمنية لن تتحسن إلا بخروج الاحتلال، وتكوين جيش وطني قوي من كافة الطوائف العراقية تكون مهمته، الأولى هي الحفاظ على وحدة العراق وهويته.

والعنف لم يقتصر على العراق وحده، بل امتد للبلاد المجاورة له، فالتنظيمات الإرهابية تحاول توسيع أنشطتها، مستغلة اضطراب الحدود العراقية مع الدول الأخرى؛ بسبب الاحتلال، أو بسبب تكدس اللاجئين العراقيين فيها، حيث استغلت التنظيمات الإرهابية ذلك للتسلل عبر هذه الحدود، إما لدخول العراق أو الخروج منه، والدليل على ذلك هو حدوث العديد من العمليات الإرهابية داخل الأراضي السعودية، والأردنية، والتركية، وإعلان تنظيمات مختلفة مسئوليتها عن هذه العمليات التي لا تستهدف سوى المدنيين الأبرياء، بحجة تعاون حكومات هذه البلاد مع حكومات الاحتلال الأنجلو أمريكي في العراق.

٣- ظهور التفاوت الطبقي في العراق:

فالحرب الأنجلو أمريكية على العراق أدَّت لارتفاع معدل الفقر بين كافة أطياف الشعب العراقي، حيث أصبح معظم

العراقيين بدون عمل، مما أدّى لارتفاع معدل البطالة أيضًا، والسبب في عدم توافر فرص العمل في العراق المحتل هو التدمير والتخريب الذي حل بكافة المصالح والهيئات، كما أن الأعمال المتوافرة في العراق يقع معظمها تحت سلطة قوات الاحتلال، مما يجعل غالبية الشعب العراقي يعرض عن المشاركة في مثل هذه الأعمال، بسبب الخوف من التعرض للأذى؛ لأن بعض التنظيمات تستهدف من يعملون في أي عمل يقع تحت سلطة قوات الاحتلال؛ لأنها ترى أن العمل معهم في أي شيء يعتبر خيانة للوطن، فهذه التنظيمات لا تدرك أن العراق يقع كله تحت الاحتلال، وليست هناك فرصة للعمل الحر، حيث يدخل الاحتلال نفسه في معظم الأعمال، خاصة العمل في مجال البترول الذي يعمل به معظم المواطنين العراقيين.

إن الارتفاع في معدل الفقر والبطالة أدى لحدوث مأساة حقيقية في العراق، فالأطفال يموتون جوعًا والآباء ليس في أيديهم شيء سوى البكاء على حالهم وحال أبنائهم، فقد أصبح المواطن العراقي في حيرة من أمره، فهو لا يستطيع أن يوفر متطلبات الحياة البسيطة من أجل أبنائه، وذلك في نفس الوقت الذي نجد فيه قلة من العراقيين يستفيدون من هذه الحرب بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة منها، وهؤلاء هم أعوان الاحتلال الذين يسهلون للمحتل مهمته في السيطرة على

العراق وثرواته، فهم يبيعون للمحتل العراق، ويمكنوه من تحقيق أهدافه، وتسمى هذه الفئة بأغنياء الحرب؛ لأهم يستغلوا الظروف العصيبة التي تمر بها بلادهم ليجمعوا الثروات ويكنزوها.

لقد تسببت الحرب الأنجلو أمريكية على العراق في حدوث تفاوت طبقي كبير بين الشعب العراقي، فهناك منهم تحت خط الفقر وهم أكثرية، وهناك من أصبحوا رأسماليين يسيطرون على معظم مصادر الدخل القومي العراقي وهم أقلية، وبهذا يكون العراق قد وصل للديكتاتورية المنشودة التي سعت الإدارة الأمريكية لتحقيقها بكل الطرق.

٤- سيطرة قوات الاحتلال الأمريكي على مصادر الثروة النفطية في العراق:

فقوات الاحتلال الأمريكي أصبحت تستحكم في المصدر الرئيسي للدخل القومي العراقي وهو البترول، ولم يعد للشعب العراقي أي حق في هذه الثروة، وكان هذا هو بيت القصيد من وراء احتلال العراق، وكانت قوات الاحتلال الأمريكي قد استطاعت من السيطرة على معظم آبار النفط العراقية بعد أشهر قليلة من دخول العراق، ويتم الآن تصدير النفط العراقي للبلاد التي شاركت في الحرب، وكل دولة تأخذ على قدر

مشاركتها بالجنود والعتاد في الحرب، وبالطبع تأخذ الولايــات المتحدة نصيب الأسد؛ حيث شاركت بكل ما لديها من جنود وعتاد في هذه الحرب.

ولقد أصبح النفط العراقي الآن هو المصدر الذي يسدد بــه العراق فاتورة ديونه التي تسبب فيها الاحتلال الأنجلو أمريكي، وتم توريط بعض أعضاء الحكومة العراقية في تسهيل مهمة المحتل في السيطرة على مصادر الثروة النفطية، من خلال إعطــائهم عقود استغلال هذه الثروة إلى أجل غير مسمى، فالاحتلال أراد أن يصبح كل شيء موثّق بعقود حتى يضفي صفة الشرعية على استغلال البترول العراقي.

لقد حرمت قوات الاحتلال الشعب العراقي مــن مــصدر الرزق الذي كان يعتمد عليه معظم العراقيين، وأصبحت فئــة قليلة فقط هي التي تعمل في مجال البترول، وفئة قليلة أيضًا هي التي تستفيد من عائده، فالشعب العراقي لم يعد يشعر بقيمــة البترول، على الرغم من ارتفاع قيمته على المستوى العــالمي، وأصبح العراق الذي يملك أكبر ثروة نفطية في العالم لا يستفيد بها؛ لأنها من المحتل وإلى المحتل تعود.

٥- ارتفاع نسبة الأمراض النفسية بين المواطنين العراقيين:

فالمشاهد المروِّعة التي يراها أبناء الشعب العراقي كل يوم من قتل للأبرياء، وتدمير وهدم للمنازل، وجرحى يعانون من شدة الألم، أدت لانتشار أمراض نفسية خطيرة، مثــل الاكتئــاب

والقلق والخوف المرضي لدى معظم الناس خاصــة الأطفــال، وكل هذه الأمراض النفسية الخطيرة سوف تظهر وتزداد بمرور الوقت؛ لأن الحروب تنتهي وتترك وراءهــا نفوسًــا محطمــة ومريضة، تظل تعاني من آلام وأهوال هذه الحروب، مما يعني أن خروج قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي من العراق لــن يعيــد العراق كما كان، بل سيحتاج الشعب العراقي فترة طويلة حتى تلتئم جروحه ويستعيد الأمن والطمأنينة مرة أخرى، ويعــيش الحياة بشكل طبيعي.

إن شبح الموت الذي يطارد المواطن العراقي في كل مكــان أدى لتمكن الخوف والفزع من جميــع المــواطنين البــسطاء، فالمواطن العراقي يتحرك وهو خائف من الموت دائمًــا، فهــو يخرج من بيته ولا يعلم إن كان سيعود إليه مرة أخــرى أم لا؛ لأن الموت ينتظره في كل مكان، حيث لا يوجد مكان آمن في العراق يستطيع الإنسان أن يتواجد فيه وهو مطمئن، فــالعراق أصبح كله تحت التهديد.

وحالة الخوف التي تلازم المواطن العراقي حولته إلى قنبلــة موقوتة يمكن أن تنفجر في أي وقت وأي مكان؛ لأن الكبــت يولد الانفجار، والمواطن العراقي يقع تحت ضغط نفسي وعصبي شديدين، نتيجة تردِّي الأحوال المعيشية وتدهور الأمن، وذلك كافٍ لجعله يتصرف بطريقة عدوانية لا شعورية.

٦- تدهور الوضع الأمني:

لقد تسبب الغزو الأنجلو أمريكي للعراق في خلق مشكلة أمنية كبيرة للشعب العراقي، حيث قامت قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي عقب سقوط النظام العراقي السابق للرئيس صدام حسين بحل الجيش العراقي وجميع الأجهزة الأمنية الأخرى المعنية بالأمن، مما ترتَّب عليه حدوث حالة من الفلتان الأمني، والتي أدت لارتفاع معدل الجريمة في العراق بصورة كبيرة، حيث زادت معدلات القتل العشوائي والنهب والسرقة في كافة أرجاء العراق؛ لعدم وجود قانون يحمي المواطن العراقي.

حتى بعد أن قامت قوات الاحتلال بتدريب قوات عراقية تحل محل القوات السابقة، لم يتحقق الاستقرار الأمني أيضًا؛ لأن القوات العراقية الجديدة أصبحت هي نفسها مُستَهْدَفَة من قِبَل بعض التنظيمات، التي تعتبر هذه القوات عملاء لقوات الاحتلال، وهذه التنظيمات تقاوم القوات العراقية بشراسة شديدة أكثر من مقاومتها لجنود الاحتلال، فكيف يمكن لجندي عراقي أن يُشعِر المواطنين بالأمان وهو نفسه لا يشعر به.

إن الوصول للاستقرار النسبي في العراق لن يتحقق إلا بجلاء قوات الاحتلال عن البلاد؛ لأن الاحتلال هو المسئول الأول

عن التدهور الأمني في العراق، هذا التدهور الذي أدى لحدوث فوضى عارمة، واضطرابات وقلاقل في كل أنحاء العراق، ومشكلة العراق الأمنية ستكون عائقًا أمام طريق أي محاولة للإعمار، ولهذا يجب العمل على بناء جيش وطني عراقي قوي من كافة الأطياف العراقية، يضع مصالح الشعب العراقي على قمة أولوياته واهتماماته.

٧- إهدار حقوق الشعب العراقي:

فبسبب الغزو الأنجلو أمريكي للعراق أصبحت حقوق الشعب العراقي مهدرة، ولم تعد حياة الإنسان العراقي ذات قيمة، فقوات الاحتلال تقتل المواطنين الأبرياء وتهدم منازلهم وتشردهم وتنتهك أعراضهم، ولا يجد المواطن العراقي من يمثله ويدافع عن حقوقه أمام هذا الاحتلال الغاشم، وليس هناك دليل على إهدار حقوق المواطن العراقي أكبر من الفظائع التي حدثت داخل سجن أبو غريب؛ حيث لم يتم محاكمة من ارتكبوا هذه الفظائع محاكمة عادلة، كما لم يتم تعويض من ارتكبت في حقهم هذه الانتهاكات من المدنيين العراقيين الأبرياء.

لقد أصبح المواطن العراقي يشعر بالذل والمهانة في بلده لعدم قدرته الحفاظ على حقوقه وكرامته التي تهدر كل يوم ألف مرة على أيدي جنود الاحتلال ممن انعدمت ضمائرهم وتجمدت مشاعرهم.

٨- أصبحت السيادة العراقية منتقصة:

فبسقوط النظام العراقي السابق للرئيس صدام حسين أصبح العراق لا سيادة له، حيث أصبحت مقاليد السلطة كلها في أيدي قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي، ولكي يعطي الاحتلال الشرعية لنفسه أعلن عن تسليم السيادة للعراقيين، وشكّل حكومة عراقية مؤقتة تتولى إدارة الشئون العراقية، ولكن تحت إشراف قوات الاحتلال، ولكن هذه الحكومة لم تكن سوى عميل للإدارة الأمريكية، فهي لم تهتم بمصالح الشعب العراقي، وكانت تتخذ قراراتها بما يتفق مع مصالح قوات الاحتلال، وقد رفض الشعب العراقي الحر هذه الحكومة بشدة؛ لهذا قامت قوات الاحتلال بالإعلان عن البدء في تشكيل حكومة عراقية منتخبة من الشعب، وبالفعل حدث ذلك، لكن هذه الحكومة أيضًا لم تحل مشكلة السيادة العراقية؛ لأنها انتخبت في ظل استمرار تواجد الاحتلال، كما أنها واجهت انتقادات كثيرة؛ لأنها لا تمثل كافة فئات الشعب العراقي بصدق، حيث تم تمييز بعض الفئات عن الفئات الأخرى.

والسيادة العراقية الحقيقية لن تكتمل إلا بخروج آخر جندي من قوات الاحتلال الأنجلو أمريكي من على الأراضي العراقية؛ لأن

بقاء المحتل بحجة انتظار استقرار الأوضاع الأمنية يعني أن السيادة العراقية لم تكتمل بعد، حتى لو كان ذلك في إطار اتفاقيات تمت بين الطرفين.

٩- تدهور حالة التعليم:

فقد أدى الاحتلال الأنجلو أمريكي للعراق لتدهور حالة التعليم بسبب:

- تدمير عشرات المدارس أثناء قصف العراق.

- صعوبة الأحوال المعيشية في العراق، حيث زادت معدلات الفقر والبطالة، مما يعني أن التعليم لم يعد من أولويات الحياة، فالآباء يوفرون رغيف الخبز لأبنائهم بالكاد، ولا يمكنهم تحمل نفقات التعليم لجانب متطلبات الحياة الأخرى.

- خوف الآباء على أبنائهم من الخروج للشوارع والذهاب للمدارس؛ بسبب تردِّي الأوضاع الأمنية، واستهداف المدنيين بكثرة من قبل التنظيمات الإرهابية وجيش الاحتلال دون التمييز بين طفل وشيخ ورجل وامرأة فالكل سواء.

- نزوح آلاف العراقيين للحدود العراقية مع البلاد الأخرى، مما لا يمكّنهم من ممارسة حياتهم بصورة طبيعية، فهم يعيشون

ظروف حياة غاية في الصعوبة والقسوة، يكون التعليم فيها شبه مستحيل.

● هجرة آلاف المعلمين العراقيين لبلاد أخرى أملًا في الحصول على فرص عمل تمكنهم من الاستمرار في الحياة مع أسرهم.

وحال التعليم في العراق لن ينصلح إلا بخروج قوات الاحتلال ومرور عشرات السنين؛ لأن التعليم بناء يحتاج لتأسيس، فهو منظومة متكاملة لا تأتي فيه مرحلة قبل انتهاء الأخرى، ولهذا يجب البدء من الآن في وضع خطط للنهوض بالتعليم العراقي؛ لأنه السبيل الوحيد لعودة العراق كما كان سابقًا منارة للعلم والحرية.

١ – تدمير البنية التحتية العراقية:

تسبب القذف الشرس للاحتلال الأنجلو أمريكي في الأيام الأولى للحرب على العراق في تدمير معظم البنية التحتية للأراضي العراقية، من شبكات المياه والكهرباء والغاز والصرف الصحي والطرق، مما أدى لحدوث أزمة في كل هذه الخدمات، فالمياه أصبحت عملة نادرة في بلاد الرافدين، والكهرباء تكاد تكون مقطوعة معظم الوقت.

وقد تسبب نقص المياه وتلوثها في انتشار العديد من الأمراض والأوبئة الخطيرة في العراق، ومن أخطر الأوبئة التي انتشرت وباء الكوليرا، الذي حصد أرواح مئات العراقيين، لدرجة أنه تم إعلان بعض المناطق منكوبة، كما تسبب انقطاع الكهرباء الدائم في تعطل الأعمال التي تعتمد بشكل رئيسي على الكهرباء، وأصبح المواطن العراقي يعيش معظم وقته في ظلام دامس، أما تعطل شبكات الصرف الصحي فقد تسبب في انتشار أمراض وأوبئة كثيرة، خاصة عند الأطفال الصغار.

إن العمل على إصلاح البنية التحتية أو الفوقية في العراق لا يجب أن يتم في ظل استمرار وجود الاحتلال؛ لأن ما يتم إصلاحه يتم تخريبه مرة أخرى؛ بأيدي قوات الاحتلال أو بأيدي التنظيمات الإرهابية التي تستهدف أمن العراق، وفاتورة إعمار العراق لن يتحملها إلا الشعب العراقي، وقد قامت الدول التي شاركت في الحرب على العراق بتقسيم وليمة إعمار العراق فيما بينهم، حتى يتمكنوا من الاستمرار في نهب ثروات العراق وشعبه بطريقة مشروعة دوليًّا، ولهذا فإن المستفيد الأول من استمرار تردِّي الأوضاع الأمنية في العراق هو الاحتلال الأنجلو أمريكي؛ لأنه يؤدي لزيادة فاتورة إعمار العراق.

ثانيًا: نتائج حرب العراق على الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في الحرب:

١- ارتفاع نسبة العداء للولايات المتحدة وحلفائها في الحرب على العراق:

فقد أدى الغزو الأنجلو أمريكي للعراق لزيادة نسبة العداء للولايات المتحدة وحلفائها، خاصة من الشعوب العربية والإسلامية التي أثرت عليها هذه الحرب تأثيرًا سلبيًّا، خاصة على المستويين الاقتصادي والسياسي، كما أن الكشف عن أكاذيب الإدارة الأمريكية بخصوص أسلحة الدمار الشامل زاد من نسبة عداء الدول الغربية للولايات المتحدة التي فقدت مصداقيتها أمام العالم أجمع.

وموجة العداء للولايات المتحدة سوف يظهر تأثيرها الحقيقي على المدى البعيد؛ لأن التنظيمات الإرهابية بدأت في استغلال هذا العداء لشحن عقول الشباب الصغار بضرورة الجهاد ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في الحرب على العراق وأفغانستان، وعندما يحدث ذلك لن يستطيع أحد أن يلوم هؤلاء الشباب؛ لأنهم يرون الآن ما تفعله هذه الدول بشعوبهم من قتل وتخريب وانتهاكات لا حدود لها، فالولايات المتحدة سوف تحصد ما زرعته.

٢- انعدام الثقة بين الشعب الأمريكي وإدارة الرئيس بوش:

فقيادة الولايات المتحدة للحرب على العراق واجهت في البداية معارضة من جانب أكثر من ثلث الشعب الأمريكي،

وبدأت هذه النسبة تزداد بمرور الوقت، حتى وصلت لأكثر من ثلثي الشعب الأمريكي، وذلك بعد الكشف عن أكاذيب الرئيس بوش بخصوص كل ما يخص الحرب على العراق، فحرب العراق كانت كذبة روَّج لها الرئيس بوش خلال فترتي حكمه الأولى والثانية.

وقد فقد الشعب الأمريكي ثقته بالإدارة الأمريكية للرئيس جورج بوش الابن؛ لأن فضائحه في الحرب على العراق كانت تزداد يومًا بعد آخر، ورغم ذلك ظل مصرًّا على الاستمرار في هذه الحرب حتى النهاية، دون أن يعبأ بإرادة شعبه وإرادة شعوب العالم أجمع.

والشعب الأمريكي لم يفقد ثقته بإدارة الرئيس بوش فقط، ولكنه فقد الثقة بأي إدارة أمريكية قادمة، سواء كانت جمهورية أو ديمقراطية؛ لأنه عرف أن صناع القرار السياسي في الولايات المتحدة لا يعبأون بإرادة شعبهم، ولكنهم ينفذون سياستهم رغم أنف الجميع.

لم يكن الشعب الأمريكي وحده هو الذي فقد ثقته بالإدارة الأمريكية، ولكن جميع الدول التي شاركت في الحرب على العراق فقدت شعوبها الثقة في حكوماتهم؛ لأنهم خدعوهم وضللوهم بشأن كل ما يخص أمر الحرب على العراق.

٣- تراجع الاقتصاد الأمريكي عن الصدارة:

قبل الحرب الأمريكية على العراق كان الاقتصاد الأمريكي يتصدر قمة الاقتصاد العالمي، لكن بعد الحرب وبمرور الوقت بدأ الاقتصاد الأمريكي يتراجع بشكل ملحوظ نتيجة لعدة أسباب، أهمها:

● ارتفاع ميزانية الحرب على العراق وأفغانستان، حيث تتكلف الولايات المتحدة مليارات الدولارات سنويًّا للإنفاق على الحرب، وقد أدى ذلك لحدوث عجز في الموازنة العامة، وهذا العجز يتزايد عامًا بعد آخر.

● ظهور العملة الأوروبية الموحدة اليورو، والتي قَوَّت من وضع الاقتصاد الأوربي على حساب الاقتصاد الأمريكي، حيث استطاعت العملة الأوربية الجديدة التي راهن الكثيرون عليها من أن تقضي على هيمنة الدولار الأمريكي في السوق العالمي خلال أشهر قليلة، وتراجع الدولار أمامها، خاصة مع انضمام المزيد من الدول الأوربية لنادي اليورو.

● ظهور تكتلات اقتصادية جديدة لمواجهة الاقتصاد الأمريكي، مثل التكتلات الاقتصادية الأسيوية التي تزداد قوتها يومًا بعد آخر.

● وجود حالة من الانتعاش الاقتصادي في بعض الدول، مثل الصين والهند، والتي بدأت تسحب البساط من تحت الاقتصاد الأمريكي، مما ترتب عليه انخفاض الطلب على المنتج الأمريكي، حيث أصبح يوجد بديل أرخص سعرًا، حتى إن بعض هذه الدول غزت الولايات المتحدة الأمريكية اقتصاديًّا.

● ارتفاع أسعار الوقود بسبب الحرب على العراق مما أثر بشكل سلبي على الاقتصاد الأمريكي؛ لأن الوقود هو أساس الصناعات الأمريكية.

إن الركود الاقتصادي الذي تنتظر الولايات المتحدة أن ينتهي قريبًا لن ينتهي أبدًا؛ لأن الولايات المتحدة دخلت في طريق الحروب بدعوى القضاء على الإرهاب، وهو في الحقيقة طريق اللاعودة.

٤- الكشف عن الديمقراطية الزائفة التي يعيشها الشعب الأمريكي:

فالحرب على العراق كشفت للشعب الأمريكي والعالم أجمع عن وهم الديمقراطية الأمريكية، حيث لم يكن للشعب الأمريكي رأي في خوض هذه الحرب، ورغم معارضة معظم الشعب الأمريكي لها إلا أن الإدارة الأمريكية لم تعبأ بهذه المعارضة، واتخذت قرار الحرب وحدها، كما أن نداءات

الشعب الأمريكي بضرورة عودة الجنود الأمريكيين من الحرب بعد أن أصبحت العراق فيتنام أخرى لم يجد صدى عند الإدارة الأمريكية السابقة للرئيس جورج بوش الابن، الذي ظل مصرًّا حتى النهاية على أن الحرب على العراق تمشي في مسارها الصحيح، على الرغم من كل الصعوبات التي تواجهها القوات الأمريكية هناك.

والكشف عن الديمقراطية الزائفة للولايات المتحدة الأمريكية جعل حلم الهجرة لها يتراجع بصورة كبيرة، حيث كان الآلاف من الشباب في كل أنحاء العالم يتمنون الهجرة للولايات المتحدة؛ لاعتقادهم أنها بلد الحرية والديمقراطية، لكن حرب العراق وتداعياتها أثبتت أن الديمقراطية الأمريكية مجرد قشرة خارجية لأعظم ديكتاتورية في العالم.

٥- شعور الشعب الأمريكي بحالة دائمة من الخوف والهلع:

فالشعب الأمريكي أصبح لديه شعور دائم بالخوف والهلع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقد رسخت الحرب على العراق من هذا الشعور، بسبب العداء الذي اكتسبته الولايات المتحدة بعد الكشف عن عدم مشروعية هذه الحرب، والحجج الواهية التي دخلت بها الإدارة الأمريكية العراق.

وما يزيد من حالة الخوف والهلع عند الشعب الأمريكي هو حالة الاستعداد الأمني القصوى التي تقيِّد حرية المواطن

الأمريكي بسهولة، حيث تم تشريع العديد من القوانين المقيدة التي تتيح التصنت على مكالمات المواطنين الأمريكيين دون إذن قضائي، وتتيح القبض على المواطنين المشتبه بهم واحتجازهم دون توجيه اتهام واضح لهم.

وحالة ترقب الخطر التي يعيشها المواطن الأمريكي جعلته فريسة للعديد من الأمراض النفسية؛ لأن انتظار الموت أصعب من حدوثه، فالمواطن الأمريكي بعد أحداث سبتمبر كان يعتقد أنه ضحية، لكن بعد حرب العراق أصبح متأكدًا من أنه جانٍ، وعلى الجاني انتظار العقاب.

٦- توتر العلاقات الأمريكية مع بعض الدول الكبرى المعارضة للحرب:

فالحرب الأمريكية على العراق أشعلت الحرب الكلامية مجددًا بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، فقد عارضت روسيا قرار الحرب على العراق بشدة، وأصبحت كل منهما تكيل الاتهامات للأخرى، خاصة بعد أن أعلنت الولايات المتحدة عن نيتها في إنشاء قواعد مضادة للصواريخ في بعض الدول الأوربية الحليفة لها والقريبة من روسيا، بحجة توجيه صواريخها نحو الدول التي تهدد أمنها وأمن إسرائيل، مثل إيران في حين ترى روسيا أن منصات الصواريخ هذه موجهة لها،

وتشكل خطورة على أمنها القومي، كما أن روسيا تعارض أي مساعٍ أمريكية لفرض عقوبات على إيران بسبب تحالفها مع إيران، وقد أكدت روسيا على أنه في حال إنشاء الولايات المتحدة لمنصات صاروخية موجهة ضدها في بعض الدول الأوربية فإنها ستقوم هي الأخرى بإنشاء قواعد صاروخية لها في بعض الدول القريبة من الولايات المتحدة، مثل فنزويلا التي عرضت على روسيا إنشاء قواعد عسكرية فيها، بسبب العداء الكبير بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية.

إن عودة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة وروسيا لا يزيد الأوضاع إلا سوءاً؛ لأنه يكون على حساب الكيانات الصغيرة التي تتخذها هذه الدول كساتر للحرب فيما بينهم.

وكما توترت علاقات الولايات المتحدة مع روسيا فقد توترت مع دول كبرى أخرى، مثل الصين وفرنسا وألمانيا؛ بسبب معارضتهم للحرب على العراق، ورفضهم للممارسات اللا إنسانية التي تمارسها الولايات المتحدة وحلفاؤها في العراق.

٧- إهمال الإدارة الأمريكية للسياسة الداخلية:

فالحرب على العراق كانت هي الفكرة الوحيدة المسيطرة على عقل الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن وإداراته، مما أدى لإهمال الإدارة الأمريكية للسياسة الداخلية ومتطلبات

الشعب الأمريكي، وأصبحت السياسة الداخلية في وضع حرج، حيث زادت البطالة، وقلت فرص العمل، وارتفعت الضرائب، وارتفع معدل الجريمة والفساد داخل الولايات المتحدة، وأكـبر دليل على إهمال الرئيس بوش للسياسة الداخلية هو تقاعسه في مواجهة إعصار كاترينا الذي اجتاح الولايات المتحدة أغسطس ٢٠٠٥، وتسبب في خسائر فادحة ماديـة وبـشرية، حيـث تأخرت الحكومة الأمريكية في إمداد الولايات الثلاث المنكوبة بالمعونات اللازمة للإغاثة، وقد اعترف الرئيس بوش بهذا الأمر.

فالإدارة الأمريكية للرئيس بوش الابن لم يكن يعنيها سوى تخريب وتدمير العالم، بزعم الحرب على الإرهـاب، وبغبـاء، ودون أن تدري دمرت أكبر كيان اقتصادي وسياسي في العالم، وهو الولايات المتحدة نفسها؛ حيث انخفضت أسهم الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية في العالم كله منذ وصول الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن للبيت الأبيض.

ولم تكن السياسة الداخلية هي الوحيدة التي تأثرت بالحرب على العراق، بل إن السياسة الخارجية تأثرت هـي الأخـرى، حيث أهمل الرئيس بوش علاقاته الخارجيـة بجميـع الـدول، وأصبح العراق هو محور اهتمام السياسة الخارجية الأمريكيـة، وذلك ما أكد عليه تقرير لجنة بيكر هاملتون الخاصة بالتحقيق في الحرب على العراق.

إن اعتداء الولايات المتحدة الأمريكية على الدول العربية والإسلامية بحجة تحرير هذه البلاد من الديكتاتورية والجهل والتخلف والبيروقراطية، والقضاء على الإرهاب حسب ادعاءات الولايات المتحدة، لم يأت بثماره المرجوة منه، بل زاد من حدة هذه المشاكل، وأضاف إليها مشاكل أكثر خطورة، والحقيقة إن المشاكل التي خلفها الاعتداء الأمريكي على الكيان الإسلامي سنظل نعاني من آثارها السلبية على المدى القريب والبعيد؛ لأنها تزداد تعقيدًا بمرور الوقت.

ويجب على الدول العربية أن تتكاتف مع بعضها من أجل مساعدة العراق على استعادة أمنه واستقراره وهويته العربية مرة أخرى، وإذا لم يحدث هذا الآن فلن يحدث أبدًا، وسيضيع العراق إلى الأبد من الأمة العربية، حيث ستتقطع أوصاله ويغرق في مشاكله الداخلية التي يمكن أن تفتك به، ودول جوار العراق يقع عليها الدور الأكبر في مساعدة العراق على تخطي أزمته، عن طريق ضبط حدودهم مع العراق ومنع تسلل الإرهابيون والأسلحة من وإلى العراق، ومساعدة اللاجئين العراقيين الذين تخطى عددهم المليوني لاجئ، وهم يعانون مشاكل اقتصادية واجتماعية وصحية كثيرة، بسبب الفقر والبطالة والمرض.

إن وقوف الدول العربية لجانب العراق لا يعتبر منًّا منها عليه، ولكنه واجب قومي يجب أن تقوم به كل الدول العربية تجاه دولة عربية شقيقة، ولهذا أدعو كل الدول العربية أن تنحّي خلافاتها مع العراق جانبًا، وتترك أحقاد الماضي حتى يتمكن العراق من النهوض من كبوته التي تسبب فيها الاحتلال الغاشم، ويعود العراق مرة أخرى كما كان في عصوره الذهبية.

الفهـــــــرس